

الأب سامي حلاق اليسوعي

الشَّاعِرُ الْأَعْزَلُ

أُوسِنْ كَارْدُوْبِرُو



طبع هذا الكتاب بمساهمة عائلة جرجي نعمة الله عقاد

الشَّاعِرُ الْأَعْزَلُ أُوسِنْ كَارِرُ وَبِيرُود

الوثائق من إعداد
الأب روافائيل خرام اليسوعي



بارالمشراق
بيروت

لا مانع من طبعه

بولس باسيم

النائب الرسولي لللاتين

١٩٩٣/٥/٢٧

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ١٩٩٣
دار المشرق ش.م.م. ص.ب. ٩٤٦ - بيروت، لبنان

ISBN 2-7214 - 4728-9

التوزيع: المكتبة الشرقية

ص.ب. ١٩٨٦ - بيروت، لبنان

صورة الغلاف مأخوذة عن مجلة:

Cahiers pour croire aujourd'hui
n° du 15 mars 1990

مقدمة

يظنّ بعضنا أنّ زمن الاستشهاد في سبيل الكنيسة قد انتهى، وأنّ زمن الاضطهاد وقتل الأبرياء لتمسّكهم بآيمانهم قد ولّى وانقضى، ولم يبقَ لنا من كلّ هذا الا الذكريات. لكنّ متتبّع أخبار الكنيسة في جميع أنحاء العالم يعلم أنّ النضال في سبيل القيم الروحية لا زال قائماً، على الرغم من التطور العظيم الذي يسود القرن العشرين، وجميع المعاهدات الإنسانية التي وقّعتها غالبية الدول.

ويُعتبر الأسقف أوسكار روميرو واحداً من مشاهير المناضلين المسلمين في سبيل حرية شعبه وكرامته. وسيرة حياته وعظاته والتزامه في الكنيسة المتألّمة، ودفاعه عن الفقراء والمظلومين، شهادة حيّة تدعونا إلى إعادة النظر في مواقفنا السلبية أحياناً، وتعلن لنا أنّ اتّباع المسيح يتطلّب منّا دوماً بذلاً للذات، وعطاءً بدون حدود، وسعياً حثيثاً في سبيل تحقيق ملکوت الله في الأرض.

it and it will make us very happy
in knowledge and wisdom. When we believe
that we do all the work, the work
will be fully done to make us and the world
blissful, as they are making happiness for us
every minute through the grace of God.

The more I read some spiritual books
the more I am more & more, come into contact with the
spiritual world, seeing my heart filled with the spirit of God.
The more I read the more I am more & more
filled with the spirit of God, and the more I am
filled with the spirit of God, the more I am

العنف - المتناالم

حياة عاديّة وتقليديّة

لا تتميّز طفولة أوسكار أرنولفو رومIRO ولا شبابه بما هو لافت للنظر. فهو ابن لوالدين بسيطين، يعملان في الزراعة ويكسبان لقمةهما بعرق جبينهما. وقد عاش أيام صباه في تقشّف ووداعة، واحتبر الفقر والعوز. فصار حسّاساً لمشكلة الفقر في بلده ولمعاناة أبناء وطنه. ولما كانت حياته الروحية عميقـة، استطاع أن يكتشف دعوته ويسمع صوت الله يناديه: «تعال اتبعني». فدخل الإكليريكيّة ودرس علوم الفلسفة واللاهوت وnal سـ الكهنوـت.

أظهر الأب أوسكار رومIRO في أثناء حياته الكهنوـtie ذكاءً شديداً وتحلـى بقيم أدبيـة وروحـية ميـزـته عن سائر زملائه. فتوسـم رؤسـاؤـه فيه خيراً، وـسلـموـه مناصـب قياديـة. ظـلـ يـرـتقـيـ فيـ العـلـمـ وـالـمـقـامـ حتـىـ صـارـ أـسـقـفـاـ لمـدـيـنـةـ سـانـتـيـاغـوـ دـىـ مـارـيـاـ. ولـماـ كـانـ مـخلـصـاـ لمـبـادـئـهـ وـوـديـعاـ، تمـيـزـ سـلـوكـهـ بـالـحـافـظـةـ عـلـىـ التـقـالـيدـ وـالـابـتـعادـ قـدـرـ الإـمـكـانـ عـنـ

المرشح المفضل

توفي أسقف مدينة سان سلفادور لويس شافير سنة ١٩٧٧ . وكان رجلاً منفتحاً على الآخرين، ومناضلاً لأجل تحقيق العدالة الاجتماعية. وإذا صار الكرسي الأسقفي شاغراً في ظروف سياسية متوتّرة، رأى الجميع في الأسقف ريقيرّة إي داماس خير مرشح لهذا المنصب. لكنّ الحكومة لم ترغب في ترشيحه، لِمَا عُرِفَ عنه من مواقف معادية للحكم وتنديده بظلم أصحاب السلطة، واستعملت جميع أنواع الضغوط والتهديد ليُعين الأسقف روميرو بدل المتوفّي، لِمَا ذكرناه عن مواقفه المحافظة. وكان حُكّام السلفادور على ثقة من أنه رجل مسالم ووديع، لا يثير المتاعب، ويتفهم وجهة نظرهم بوجه أفضل. وقد تسبّتوا من ذلك حين أعلن، في العزّة التي ألقاها يوم تنصيبه، أنه على الكنيسة أن تلزم الحياد تجاه المشاكل السياسية والاقتصادية في البلد.

القبيلة الموقوتة

في يوم ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٧٧ ، اعتلى أوسكار روميرو الكرسي الأسقفي في السان سلفادور. وجاءه أغنياء البلد، وقدّموا له أثمن الهدايا وأغلاها، ومن بينها سيارةً فاخرة من نوع «كاديلاك» ومتزلاً هو إلى القصر أشبه، غطّيت جدرانه بالمرمر. فرفض بلطف قبول هاتين الهدىتين. عندئذ شعر هؤلاء بالخطر، وكانوا محقّين في ارتياهم.

العنف والثورة. فبذا هذا الموقف لمعاصريه سلبياً، في زمن كانت ثورات التجديد تعصف بكلّ مكان، خصوصاً في قارة أمريكا اللاتينية. ويُذكر عنه أنه أبدى تحفظاً كبيراً إزاء التعهد بالالتزام والنضال مع المجتمع المتدهور، على الرغم من قبوله لقرارات المجمع القاتيكانى الثاني ولآراء مجمع أساقفة أمريكا اللاتينية الذي عُقد في مدينة مدلين. وكان يدافع دفاعاً محاافظاً عن النظام الاجتماعي القائم - الذي لا بدّ من احترامه، بحسب رأيه - ويطالب بأن يقتصر دور الكنيسة في المجتمع على الشؤون الروحية، وأن لا تتدخل الكنيسة في السياسة، وتبقى بعيدة عنها كلّ بعد. وهاجم بشدة جميع الكهنة والأساقفة الذين وافقوا على قرارات مدلين، ونعت بـالماركسيّة من تعهد بالعمل مع أفق فقراء بلده السلفادور. ففي إحدى محاضراته التي ألقاها على جماعات كنسيّة شعبية سنة ١٩٧٢، أعلن أنّ ما تقوم به الدولة من تجنيد للطلاب في الجامعة، وقمع للفتن باستعمال العنف والإرهاب، هو ضروري لحفظ النظام وتوطيد السلام. وفي أثناء الاحتفال التقليدي بعيد الفادي الإلهي سنة ١٩٧٦، الذي حضره جميع الأساقفة وأعضاء من الحكومة والهيئات الدبلوماسية، ندد بالمذاهب المسيحية العقلانية التي تدعو إلى الثورة، وسمّاها «مذاهب الحقد المسيحية» ضارباً في عرض الحائط جميع الأبحاث التي تسعى إلى إيجاد لاهوت يكون قريباً من حياة مسيحيي السلفادور.

لأنه بينما كانت الوفود تأتي إليه لتهنئه على تنصيبه أسقفاً، حدث أمر مروع حول الأسقف المسالم، الذي يتحاشى إثارة القلاقل والاضطرابات، إلى قبيلة موقوتة، بل إلى قنابل ستنفجر تباعاً طوال اعتلائه السدّة الأسقفيّة وحتى آخر أيام حياته.

بعد أسبوع من تنصيبه، جاءه صديقه الأب روتيليو غرانده اليسوعي وأخبره بأنّ الحرس الوطني حاصر مئات من المصلين في أثناء القدس، وأطلق عليهم النار فأسقط منهم سبعين قتيلاً. وللحال، ذهب الأسقف إلى مكان الحادث، فرأى جثث القتلى مكوّمة بجانب الساحة العامة أمام الكنيسة، وعمال التنظيفات يرشون الماء ليزيلوا آثار الدم. فكتم آلام المشهد في نفسه، وعزم على أن يسلك طريق الحوار مع الحكومة، لتوقف أعمال العنف.

وفي ظهر يوم ١٢ مارس (آذار)، أي بعد ثمانية عشر يوماً من تنصيبه، كان صديقه الأب روتيليو غرانده اليسوعي في طريقه إلى أغيلارس، بعد أن عمد عشرات الأولاد في قرية أخرى، فاعتراضه دورية من المخابرات، وأطلقت عليه النار، فقتلته، وشيخاً وطفلأً صغيراً كان معه في السيارة. وجاءت الشرطة إلى دار الأسقفية، وأمرت الأسقف روميرو بأن يسرع في موارة جثمان القتلى الشري تفادياً للتجمّعات التي قد تثير اضطرابات تخلّ بالأمن. فلبّي رغبة الحكومة وفي قلبه إرهادات الغضب والثورة. لأنّه كان صديقاً حميراً للأب غرانده ويعرفه حقّ المعرفة، ويعلم أنّه ملتزم في العمل مع الفقراء

والدفاع عن حقوقهم، وليس له أي نشاط سياسي أو تعامل مع الإرهابيين. وما من سبب يبيح لقاتلاته اقتراف جريمة النكراة.

وفي أثناء مراسيم الدفن، شعر أوسكار روميرو بأن دم الضحية يسيل على عينيه، ويزبح عندهما الغباشة، ويجعلهما تنظران إلى الطريق الواجب سلوكه لإدارة الأبرشية بحسب روح الإنجيل. وأدرك في تلك اللحظات أنه عاش حتى ذلك الحين حياة خفية بسيطة، وقد آن الأوان لكي يبدأ حياته العلنية على مثال معلمه يسوع الناصري. وعندما نظر إلى وجوه المصلين، علم بأن الشعب يريد أن يسمع منه كلمة صادقة، تشير إلى أنه يعي تمام الوعي مأساة رعيته التي تعاني من الظلم الاجتماعي، وأن يستنكر وقاحة الذين يسنون القوانين لاضطهاد المواطنين. فأحسّ بأن قوة رسالة الانجيل هي أن تكون حقيقة متجسدة في المجتمع، وأن هذه هي رسالة الكنيسة الأولى.

وحين عاد إلى مقره بعد الجناز، وقد جن الليل، طلب من عدة كهنة وعلمانيين أن يمكثوا معه ليتباھثوا في ما يجب على الكنيسة أن تقوم به بعد هذا الاغتيال الشنيع. والغريب في الأمر أن الكهنة والعلمانيين، الذين مكثوا معه، كانوا ممن وصفهم منذ بضعة أشهر بالماركسيين، ونقد أفكارهم وسلوكهم. لكن الذي كان «أبا هادئا» حريراً على أن لا يشير العواصف من حوله، تحول في تلك الليلة إلى رجل التميز الرعوي والشجاعة الرسولية، وصار صوت من لا صوت لهم، ونبراساً في وجه الظالمين. وشعر المجتمعون بهذا التغيير الداخلي

من اضطرابه وعصبيته. فجعلوا يفكرون معه في رد فعل مناسب على ما حدث، وفي الموقف الذي يجب على الكنيسة أن تتخذه لكي تظل مخلصة لروح الإنجيل الذي تعلنه للناس، ولا تسلك سلوكاً يخالف إرادة الله.

العنف المسلح

أثر تغيير موقف الأسقف روميرو تجاه المستبدّين في بلده تأثيراً بالغاً في المقربين إليه داخل الكنيسة. فبدأ الذين انتقدتهم سابقاً يشددون عزيمته في هذه الأزمة الصعبة، ويتناقشون معه في الوسائل التي على الكنيسة أن تستخدمنها لتعلن احتجاجها رسمياً، ورفضها للعنف الذي يحدث في البلد. وابتعد عنه الذين تمنّوا مجئه إلى سان سلفادور، وجعلوا ينقدونه علينا، إذ شعروا بأنه سيثور عليهم، وسيندّد بوحشية نظامهم القائم على سحق الفلاحين. وكانوا يعلنون بوقاحة أنَّ الأب روتيليو غرانده استوجب ما ناله من عقاب، لأنَّه ماركسيٌّ شيوعيٌّ كافر وملحد، وقد فعل ما لا يجوز له أن يفعله.

وبعد بضعة أسابيع من حادث اغتيال الأب غرانده، شرع الأسقف روميرو في نشر بيانات ورسائل رعوية ينقد فيها ردود السلطات الحاكمة للشعب واضطهادها للكنيسة. وطالب الحكومة بإجراء تحقيقات في التعذيب داخل السجون والاغتيالات التي تتم، وأعلن أنَّه لن يشارك في أي احتفال رسميٌّ ما لم تُتخذ إجراءات

قضائية في حق أصحاب الجرائم. وطلب من جميع المدارس الكاثوليكية أن تعلن الإضراب لمدة ثلاثة أيام، يتوقف التدريس فيها، وتُخصص الحصص لدراسة الكتاب المقدس ووثائق مؤتمر مدللين، لكي يعي النشاء الجديد واقع الظلم في بلده.

قداس واحد وحيد

وأمعن الأسقف أوسكار روميرو في احتجاجاته اللاعنفية، فقرر إلغاء جميع قداديس يوم الأحد في كنائس العاصمة سان سلفادور، وأن لا يقام إلا قداس واحد في الكاتدرائية. وكان هدفه من هذا أن تُوقظ الضمائر النائمة، وأن يشعر كل من يعيش في السان سلفادور، أو يمرّ بها مرور الكرام، باحتجاج الكنيسة على الظلم ورفضها للعنف.

وبسبب له القدس الوحيد في الكاتدرائية بعض الصعوبات، إذ أعلنت الحكومة أن هذا القرار خطر على الأمن العام، وقدّمت احتجاجاً للقاطikan في هذا الشأن. فزار الأسقف وعدد لا بأس به من الكهنة السفارية البابوية ليبرر قراره في القدس الواحد الوحيد. ولما كان السفير غائباً، لم يتجاوب أمناء سر السفارية معه. فختم حديثه معهم بقوله:

- إن حال البلد استثنائية، وعلى الكنيسة أن تعطي علامة تنديد استثنائية. أنا مسؤول عن الأبرشية، وسأثبت عند قراري الذي اتخذته.

وكانت إذاعة الأبرشية تبث عزات القدس الواحد على الهواء

مباشرة، ويسمعها جميع سكان السلفادور. وكان الأسقف روميرو ينتهز هذه الفرصة فيعظ عظات فياضة، تزيّنها القصص والتعاليم، وتستغرق ٤ أو ٥ دقيقة. وينهيها بسرد أحداث الأسبوع، ويندد من خلالها، وأمام عدسات التصوير التلفزيونية أحياناً، بجميع حوادث العنف والتعذيب على حقوق الإنسان المُرتكبة حديثاً.

ونجحت فكرة القدس الواحد الوحد نجاحاً عظيماً، لكن بعض الأساقفة لم يوافقوا عليها. وفي اجتماع أساقفة أميركا اللاتينية في بوينس آيرس سنة ١٩٧٩، أعلن الأسقف أباريستيو للصحفيين أنّ أوسكار روميرو شخص غير مسؤول، ويدفع الكنيسة إلى مواجهة الحكومة، ويتوهم أنّه «جيسي كارتر» أمريكا اللاتينية. ونظراً إلى البلبلة التي أحدثتها فكرة القدس الواحد الوحد، أرسل الثاتيكان ثلاثة زوار رسميين في مدة سنة ونصف للإحاطة علمًا بهذا الشأن. وهدد بعضهم الأسقف روميرو بأنّ الحكومة ستطلب من البابا أن يعيّن معه مديرًا رسولياً يتسلّم زمام الأمور بدلاً منه.

الاختبار الجديد

قام الأسقف أوسكار روميرو في ذلك الحين باختبار جديد للله. ولم يستطع منذئذ أن يفصل بين حقيقة الله والقراء. فالله بالنسبة إليه هو إله الحياة، وإله الملائكة، وإله القراء. وانطلاقاً من الفقر، اكتشف حقيقة الله الخفي الذي يتآلم على الصليب. ففتح له هذا الاكتشاف

سرّ إله أكبر متعالٍ، مليء بكنوز الطيبة والإنسانية التي يمكن لل慨ئات البشرية أن تعتمد عليها. فالله مخلص البشر الحقيقي. وكم من مرّة تلا على سامعيه عبارة القديس إيريناؤس: «مجد الله هو الإنسان الحي»!

ومع اكتشافه الجديد لحقيقة الله، اكتشف ضعف بعض رجال الكنيسة، ودسائس الذين يعيشون بعيداً عن المسيحية ومخاوفهم. فشقّ عليه أن يرى أبناء بلده يقاومون العنف، وكهنته يُغتالون، ولا ينال نجدة إخوته الأساقفة، بل معارضتهم له ومضايقتهم. وفي ختام إحدى رياضاته الروحية، كتب يقول:

- إنّ فكراً يقودني: إذا انتقدوا نشاطي الرسولي، أيّ حلّ بدليل يعرضونه عليّ؟ إنّ عجزهم عن الإجابة يؤيّدني في أمر واحد مهمّني وهو جذرية الإنجيل التي لا يمكن للجميع أن يفهمونها.

لا بدّ هنا من أن يطرح الإنسان السؤال على نفسه:

- كيف تمكن هذا الأسقف من أن يتحول هذا التحول الجذري في مواقفه وأرائه؟ ألم يفضّله الطغاة على غيره لمواقفه المحافظة؟ ألم ينعت بالماركسية كلّ من طالب بحقوق الفقراء وناضل من أجلها؟ أيعقل أن يتغيّر الإنسان هذا التغيير بعد موت صديق؟

للإجابة على هذه الأسئلة علينا أن نعلم أولاً أنّ أكثر ما تميّز به الأسقف روميرو هو قدرته على الإصغاء والعدول عن رأيه اذا ما تحقق من خطأه. وقد قيل فيه - وجميع المقربين إليه يشهدون بذلك - إنّه

كان ذا حياة روحية عميقه وبُعد نظر ديني عظيم. إلا أنّ الحياة لم تجعله يجاهد المشاكل حتى صار أسقف سان سلفادور. وقد كان ينوي أن يهتمّ بحالة بلده الاجتماعية والدينية على طريقته، ويريد أن يساعد الفقراء والمظلومين بصمت وهدوء. فجاء اغتيال الأب روتيليو غرانده وأثنين كانا معه ليؤكّد له خطورة الحالة في بلده، وليسَن له ضرورة الخزم مع الظالمين.

فليس في سلوك الأسقف أوسكار روميرو إذاً أية غرابة، وخطّة حياته الروحية، وإن كان لها منحدران متعارضان، فإنّها تسير دائمًا في مضمار الأمانة للواجب اليومي. وحين يُصدّمُ المرء بحادث يمسّه في قلبه، تندلع الثورة في داخله، لأنّنا تلاميذ الأحداث. وهذا ما حصل للأسقف. فاغتيال صديقه الكاهن الذي كان اغتيالاً «لا يدركه العقل»، جعله يراجع طريقته الروحية في اتّباع يسوع، ويحوّل أمانته لتعاليم الإنجيل إلى اتحاد بشريّ مع أفق أعضاء المجتمع، بل إلى غوص في التاريخ المأسوي وإلى طاعة لقانون التجسد حتى بذل الحياة. لكنّه رغم هذا التحوّل، ظلّ مخلصاً لمبادئه في الوداعة والسعى إلى السلام والابتعاد عن السياسة. وكم من مرّة أشار في عظاته إلى هذه النقاط، وأعلن أنّه لا يهتمّ بالسياسة مطلقاً، ولا يهمّه أيّ حزب يحكم البلد، وإنّما همّه الوحيد هو أن يستعيد مواطن سلفادور كرامته لأنّه إنسان خلق على صورة الله. وما بساطة عباراته في العظات التي كان يلقاها في القدس الواحد الوحيد، وطريقته التعليميّة المكيّفة مع المستمعين من

أبناء الشعب، إلا تأكيد على اهتمامه المباشر بالناس، وعزوفه عن العبارات المنمقة والشعارات التي يستعملها جميع الذين يطمحون إلى المناصب.

لقد تميّز الأسقف روميرو بالكلام الرزين ومخاطبة أعدائه برفق ورحمة، في سبيل توحيد طبقتي المجتمع السلقادوري أو تقريرها على الأقل. وبالرزانة نفسها، عالج الخلافات داخل الكنيسة، وأعلن بإيجاز ووضوح أنه لا يجوز إخفاء النزاعات في كلام كنسي منمق يعبر عن المصالحة. لأنّه ليس للمصالحة معنى ولا قيمة إلا إذا قام المسيحيون أو لا يسط النزاع لإظهار مقوّماته، ومعالجته بالمناظرات الكثيرة التي تقوم في الكنيسة الكاثوليكية بأمريكا اللاتينية منذ عشرين سنة.

يظلّ الراعي مع القطيع

لم ينعزل رئيس الأساقفة في مكتبه، بل كان يجب الأبرشيّات لزيور شعبه، ويلتقي الناس في بيوتهم، ويعطي كلّ شخص فرصة ليعبر عن نفسه. وكان السكان يعترفون له بهذا الاهتمام: فيحضر الأطفال إلى مقرّ إقامته وهم يحملون الهدايا المتواضعة، ويعطيه أولياء أمورهم الصدقات: بضعة قروش أو بيضاً أو دجاجات، أو، في إحدى المرات، بقرة سبّبت بلبلة. وكان أفراد الشعب يبعثون إليه رسائل تشجيع، خصوصاً حين يُقتل واحد من أصدقائه، ويأتون إليه بالعشرات ليخبروه عن أبنائهم المفقودين أو المخطوفين أو المقتولين.

كان هذا الرجل، الذي صار أسقفاً وهو في الستين من عمره، يقول:

- الروح لا يشيخ، بل يبقى شاباً دائماً.

وجعله شباب الروح هذا شديد الانتباه إلى «كلمة الله لأنّها انفتاح للقلوب وارتداد إلى القدسية والحياة». وكان يقول، فضلاً عن ذلك:

- على الأسقف أن يتعلّم الكثير من شعبه. فالمواهب التي ينحها الروح للشعب تصبح للأسقف ملهمة تواعده وأصالته... ليس الراعي رئيساً يدعى أنه يتحكم في كل شيء، بل إنسان مستعد ليكون تلميذاً للصغار وللناس الذين لا نفوذ لهم. فهم أيضاً يمتلكون أسرار الروح... والراعي يعرف خرافه وخرافه تعرفه.

وفي إحدى المرات، سمع أن الجيش داهم إحدى قرى رعيته. فأسرع إلى المكان ليطمئن على سلامه أبناءه. عندئذ اعترض الجنود سبيله، ولما لم يجدوا معه شيئاً حين فتشوه، أمر الضابط بأن يعروه من ثيابه. فخلعوا عنه ثوبه الكهنوتي، ومزقوا قميصه الداخلي. عندئذ تقدّمت منه عجوز وطرحت وشاحها على كتفيه وقالت له:

- تكلّم يا سيّدنا، فأنت صوتنا الصامت.

فنظر إلى الجيش ومن خلفهم أبناء رعيته، وقال:

- لنصلّ القدّاس معاً. باسم الآب، والابن، والروح القدس
آمين... أيّها الآب، يا من وهبنا كرامتنا الإنسانية، ارحمنا... يا يسوع،
يا من جعلنا أحراراً، خلّصنا... أيّها الروح القدس، يا من يقوّينا
لنحارب الظلم والاضطهاد، اعضدنا...

وحين رأى العسكر هذا، اضطروا إلى الابتعاد.

إخلاص لرسالة الكنيسة

أراد الأُسقف روميرو أن يعلن محبّة الله للجميع بدون استثناء،
ولم يميّز بين الغنيّ والفقير، أو يفضل أحدهما على الآخر، رغم نضاله
في سبيل كرامة الفقراء. وكان يطلب من الكنيسة أن تجعل الربّ
حاضراً:

- إنّ كنيسة تأخذ على عاتقها كلّ شيء بشرّيّ وتتبّنى آلام
جميع من يتذمرون ورجاءهم وضيقهم هي كنيسة المسيح المحبوب
والمنتظر، وهي كنيسة المسيح الحاضر.

وكان مقتنعاً، كما قال البابا يوحنا بولس الثاني، بأنّ الكنيسة
مدعوة إلى أن تكون إلى جانب الفقراء بموجب التزامها بالإنجيل.
فالاهتمام بالفقراء هو مبدأ لاهوتّيّ، لأنّ الله هو أول من دلّ عليه. وهو
أيضاً مبدأ كنسيّ ينير الكنيسة في عملها. لذلك لم يبحث الأُسقف
روميرو عن انسجام الكنيسة مع السلطات أو الدولة أو القوّات المسلّحة

أو القوى الاقتصادية. لأن الكنيسة من الشعب وللشعب، لا للحكومة. والقراء هم المعيار الوحيد للحكم على جدوى مشاريع الحكومة وقراراتها.

درب الصليب

وازداد القمع في السلفادور شهر مايو (أيار) ١٩٧٧، فاغتيل كاهن في الحادي عشر من ذلك الشهر، وطُردَ اليسوعيون من أغيلارس، قرية الأب روتيليو، في الخامس عشر منه. وانتشر الجيش في تلك المنطقة وفرضَت الأحكام العرفية. فقام الأسقف روميرو بالإجراءات الأمنية الضرورية، ونال الموافقة على أن يزور رعيته هناك.

وفي يوم ١٩ يونيو (حزيران)، وصل إلى القرية، فوجد أن الجيش حول الكنيسة إلى مقهى يتسلّى فيه. ودخل ليأخذ القربان المقدس، فاعتراض سبيله ضابط، وأطلق النار على بيت القربان وعلى الصليب المعلق فوقه، فتهشم جسد المصلوب وتناثر جسد المسيح على الأرض. عندئذ انحنى الأسقف وجمع القربان المتناثر قطعة قطعة، ولم يخف من الرصاص الذي أطلقه الجنود حوله ليخيفوه. وخرج من الكنيسة، وارتدى ثوب القدس، فتجمهر المؤمنون حوله. وحين اقترب من باب الكنيسة، رفع الجنود بنادقهم في وجهه وهمّوا في إطلاق النار. لكنه ظلّ يسير متقدّماً الحشد حتى دخل الكنيسة رغمًا عن أنف الطغاة، الذين ابتعدوا عن طريقه خجلين. فوقف على الهيكل وقال:

- من واجبي أن أتقدّم حشد الجرحى والأموات وجميع ضحايا الاضطهاد... هناك من يسعى بإرادة شيطانية لتحويل البلد إلى سجن ومكان للتعذيب... نحن نتألم مع الهاريين الذين لا يعرفون أين هي أسرهم. ونحن مع الذين يعانون العذابات...

وانتهى الاحتفال بتطواف في شوارع القرية، تحت مراقبة العساكر وتهديدهم. ومنذ ذلك الحين، صار الأسقف صوت الشعب الذي يندد بالإرهاب ويحتاج على تصرفات الحكومة التعسّفية، ويسعى إلى الصمود أمام شرّ الطغيان. ودام هذا النضال ثلاث سنوات، هي أشبه بدرب الصليب الصاعد نحو جبل الجلجلة.

وفي عام ١٩٨٠، شعر الأسقف روميرو بأنّ الأخطار تحدق به من كلّ مكان. وعلم أنّ حياته قد اقتربت من نهايتها. فكتب إلى أسقف البرازيل وقال له:

- يسرّني أن أتعرّض للخطر نفسه الذي تعرض له يسوع بسبب تماثله مع أفقير الفقراء.

ورغم تحذير بعض الناس ولو م لهم له، تابع مسيرته، ولم يخفي صوت تنديداته. وفي عظة يوم الأحد ٢٣ مارس (آذار) ١٩٨٠، ختم حديثه قال:

- باسم الله، وباسم هذا الشعب المتألم،

الذي يتعاظم نحيبه الصاعد نحو السماء شدّة يوماً بعد يوم،
 أتوسّل إليكم،
 أرجوكم،
 امركم،
 كفوا عن القمع... .

الأسقف الشهيد

وفي صباح الغد، ذهب إلى مشفى العناية الإلهيّة، وأقام قدّاسه اليومي أمام عدد قليل من المؤمنين. وبعد أن أنهى العضة وشرع في بسط المنديل الأبيض على الهيكل لتقديمة القرابين، لعل رصاص في الكنيسة، أطلق من الخارج عبر الباب الكبير المفتوح، وطفر دمُّ من جنب الأسقف فخرّ على الأرض صريعاً.

ولم ينته العنف مع هذا الاغتيال، بل ازداد شراسة. لأنّ الدم المهدور كان بذاراً أعطى المئات من أمثاله. ففي يوم ٣٠ مارس (آذار)، حضر مراسيم الدفن ثلاثونأسقفاً من أمريكا اللاتينية وعدد كبير من الناس عجزت الكاتدرائية عن استيعابه، واكتظّت الساحة العامة بالرجال والنساء والأطفال، أتوا من كلّ مكان ليودّعوا أسقفهم الوداع الأخير. وكانت الجماهير تتقدّم في صفّ طويل جداً من أقصى الساحة

الكبيرة، وتدخل إلى الكنيسة بصمت لتنظر إلى جثمان الذي تضخم صوته كلّ أسبوع بواسطة إذاعة الأبرشية، وكان شديداً في عزمه وصلباً في إرادته، ليحرر من الشقاء أبناء بلده.وها هو الآن في نعش، لا يفوه بكلمة، ولكن محييّاه يشير في قلوب المؤمنين جملاً وخطباً وثورة.

وبينما كان الناس يصلّون أمام جثمان من تكلّم بصوتهم، وندّد بجرائم «عَبَدة المال»، وضّحى بحياته في سبيلهم، أطلق الجيش النار على المؤمنين العُزّل وأردى عشرات منهم قتلى... أربعون شخصاً قُتلوا لأنّهم أتوا إلى الكنيسة ليودّعوا أسقفهم. ويصف بعض الأجانب، ممّن شهدوا المجازرة، ما حدث في تلك اللحظة ويقولون:

- إنّ الرعب والقلق اللذين زَرَعْتُهما عمليّة القمع أخلّيا الساحة من الشعب الورع المتأثر. لقد هجر الناس الساحة بغتة فزعين وتركوا فيها ثيابهم وأرديتهم. ودفن الذين وُجِدوا في الكاتدرائية الأسقف روميرو خفية، مثل كثير من سكّان السلاقادور قبله. هذا هو التلميذ الذي لم يشأ أن يكون أفضل من معلّمه في تضحيته بحياته. لقد أعلنَ الرجال بقوّة إزاء الموت وإزاء الذين قُتلوا في الساحة الكبيرة هذا الصباح... لأنّه إن لم تمت حبة القمح، لن تعطى ثمرا.

حيٌ للأبد

«قد يسمعني الآن صاحب اليدين الملطختين بالدم،
لأنه قتل الأب غرانده وأطلق الرصاص على الأب نافارو.
ليعرف الذي قتل، والذي عذّب، والذي اقترف شروراً كثيرة،
أقول لهم، وهم هناك في كهف إجرامهم، ويشعرون بالندامة:
أنتم أيضاً يمكنكم أن تنالو الغفران».

بهذه الكلمات سامح الأسقف أوسكار روميرو قاتلي أصدقائه.
ولو أُعطيَ له أن يتكلّم بعد وفاته لردد العبارات عينها في شأن قاتليه.
فقد كان يعلم أنّه سيُقتل في يوم من الأيام، لأن كلامه النابع من
الإنجيل، وشجاعته في مواجهة العنف الذي يسود السلفادور، أثرا
غضب المسؤولين في الحكومة.

وفي الأشهر التي تلت اغتيال روميرو، قُتِلَ أربعة كهنة آخرون،
وثلاث راهبات وعلمانية مُرسَلة من شمال أمريكا. وفي يوم ١٦
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩، ذبح ستة يسوعيين في جامعة سان
سلفادور الكاثوليكية مع موظفة تعمل في الدير وابنتها.

تحاليف المائة

Pishowi@gmail.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأول

في الكنيسة

«لا يمكننا أن نفصل كلمة الله عن الحقيقة التاريخية التي نقول فيها هذه الكلمة. لأنها، إن فُصلت، لن تكون كلمة الله، بل قصة عادٍة في كتاب تقويّ، أو كتاباً مقدّساً مرصوفاً إلى جانب كتب مكتباتنا. وكلمة الله تبيّن بوضوح ما يتمّ في مجتمعنا من أمور، وهي تنيرها وتعظّمها أو تقاومها وترفضها» (٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧).

تلخّص هذه العضة رسالة الأسقف أوسكار روميرو، وجميع الحوافر التي دفعته إلى أن يرفع صوته عالياً، ليشجع وينقذ، ليمدح ويندد، ليعزّي ويؤنّب. فعلى الرغم من علوّ مرتبته في العلم والمعرفة، خصوصاً في اللاهوت والكتاب المقدس، لم يشاً أن يدع لاهوتاً جديداً أو أن يفتح تياراً فكريّاً معاصرأً للكنيسة الجامعية، بل اكتفى بأن يقرأ تعاليم المسيح ويفهم كلام الكتاب المقدس في ضوء الظروف التي

تمرّ بها بلاده السلفادور، لينير طريق الخلاص لأنباء رعيته في عالم سادته عتمة العنف والاضطهاد. فلنصاحب هذا الأسقف في مسيرته، ولنحاول اكتشاف بعض أفكاره في أمور الكنيسة والمجتمع والسياسة.

كنيسة سائرة

يشدّد الأسقف روميرو في تقديم كنيسته على أنها كنيسة سائرة، دائمة النمو والازدهار والتقدّم. وهي لا تسلك في مسيرتها طريقاً سهلاً ممهدأً، بل درباً حرجاً وعرأً، تحفه مخاطر الآلام والاضطهاد، لأن الشرير يقاومها في تقدّمها، ويسعى إلى إخفاق مساعدتها في إزالة الخطيئة من العالم.

ليتنا لا ننسى ذلك:

نحن كنيسة سائرة.

ومع أن الآخرين لا يفهمون غايتها ويضطهدونها، فإنّها تتقدّم في هدوء الروح، لأنّها نالت قوّة المحبة. لقد عهد الله إلى الكنيسة مهمّة تحرير العالم من الخطيئة.

هذه هي رسالتها العظمى:

أن تكون نقية وتتطهّر العالم من الخطيئة.

لهذا السبب تُهاجم كثيراً.

لأنّها تندّد بالخطيئة.

لأنّها تقول للأغنياء:

«لا تسيئوا استعمال السياسة،
ولا تفرطوا في استغلال الأسلحة، ولا تتجاوزوا سلطتكم!
ألا ترون أن ذلك خطيئة؟»

لأنها تقول للخطأة، ولمن يعذّبون غيرهم:
«لا تعذّبوا، فالتعذيب خطيئة إلى الله وإهانة له،
وأنتم مشغولون في تأسيس مملكة جهنم على الأرض».»

وفي قدّاس رساممة كاهنين، وضح الأسقف روميرو كيف تندد
الكنيسة الخطيئة، وشبّه رسالتها برسالة الأنبياء، الذين لم يسكنوا على
خطايا الشعب، وقرّعوا الضمائر، فعذّبوا قوى الشرّ وقتلتهم.

من السهل جداً أن يبقى ناقل الكلمة
في الروحانيات الصرفة لكي لا يزعج أحداً.
وأن لا يكرر بأحداث بلده، ويقول كلمات عامة،
لا تخلق المشاكل، ولا تكون منبعاً للنزاعات.
لكنّ هذا ليس من سمات الكنيسة الأصيلة.

لأنّ ما يميّزها هو الكلام الصارم، ككلام الأنبياء،
الذين يعلنون للشعب آيات الله
لكي يجعلها الشعب نصب عينيه.
فإذا أرادت الكلمة أن تندد خطايا الناس،
عليها أن تطلب منهم أن يزيلوا الخطيئة من قلوبهم
ومن جماعاتهم وقوانينهم ومنظماتهم التي تظلم وتسجن،

وتعدى على حقوق الله والإنسانية.
وهو كلام يشير النزاعات والاضطهادات.

من هي الكنيسة

تعلم المسيحيون منذ نعومة أظافرهم أن الكنيسة ليست ببناء حجرياً، ولا صرحاً تذكاريأً، بل جماعة من المؤمنين يجتمعون للصلوة ويتحدون بعضهم البعض في جسد المسيح. لكن هذا التعريف لا يكفي لتهيئة النفوس حين يتم الاعتداء على المباني حيث تعودوا أن يحضروا القدس. وحين اجتاحت السلفادور موجة اعتداءات على الكنائس في المناطق الفقيرة، لم ينقد الأسقف روميرو مدنسي المقدسات ولم يلعنهم، بل انتهزها فرصة ليلاً ليلقّن المسيحيين درساً عن الكنيسة لا يمكن نسيانه، ويحبط مؤامرات الأعداء، إذ يبيّن لهم أنهم لا ينالون بأفعال شائبة كهذه من كرامة الكنيسة المقدّسة.

ليتنا لا نقيس الكنيسة بعدد الذين يتربّدون إليها
ولا بعدد صروحها الحجرية.

فقد بنت الكنيسة صرحاً كثيرة وأدياراً،
سرقت مؤخراً أو بيعت،
لتصير مكتبات أو ثكنات أو حتى أسواقاً مسقوفة.
لا تهمني الجدران، بل أنتم البشر، وقلوبكم،
ونعمة الله التي تتحكم الحق والحياة.
وهي أمور لا تُحسب بالإحصائيات

بل تُقاس بصدق القلب،
والأمانة نحو الحقيقة ونعمـة فادينا الإلهي.
ليستولوا على كنائسنا المبنـية بالحجارة!
فالكنيسة تعانـي ذلك منذ بداية تاريخها حتى اليوم.
وهي ليست حاضرة لهذا الهدف.
فالمسيح يقول لنا إن الكنيسة أمر آخر،
ويلزمـها أناس يعبدون الله «بالروح والـحق» (يوحـنا ٤/٢٣)
ويمـكن أن تـقام هذه العبادة تحت شجرة، أو على جـبل،
أو على شاطـئ الـبحر.
فحيث يبحث القـلب عن الله يـأخلـاص،
هـنـاك تكون الـديـانـة الـحـقـيقـيـة.

* * *

أيها الإخـوة:
أعلمـ أنـ فيـ كلامـيـ هـذاـ عـثـارـاًـ لـعـدـدـ كـبـيرـ مـنـ النـاسـ،
لـأـنـ كـثـيرـينـ يـتـمـسـكـونـ بـظـاهـرـ الـكـنـيـسـةـ الـمـادـيـةـ،
وـيـسـمـونـ ذـلـكـ:ـ الـمـكـانـةـ،ـ وـالـأـمـانـةـ لـلـتـقـالـيدـ...ـ
لـكـنـ هـذـاـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ خـيـانـةـ لـحـقـيقـةـ الـكـنـيـسـةـ.
فـالـلـهـ رـوـحـ،ـ لـاـ يـرـيدـ سـلـطـاتـ الـأـرـضـ وـلـاـ أـشـيـاءـ الـدـنـيـاـ،ـ
وـإـنـماـ يـرـيدـ إـخـلاـصـ الـقـلـبـ.

* * *

يؤلمني أن أرى أنساً ينظرون إلى الماضي ويقولون:
 «ما تفعله الكنيسة اليوم شيء بشع...
 ففي زمننا لم يكن الأمر كذلك». ويتذكرون أيام كانوا يذهبون إلى المدرسة، ويتمتنون مسيحية جامدة، كنوع من متحف. المسيحية ليست كذلك، ولا الإنجيل. وما الكنيسة إلا خميرة لعالم اليوم، ورسالتها ليست نقد خطايا زمن موسى ومصر القديمة، ولا زمن المسيح وبيلاطس وهيرودس والروماني بل خطايا اليوم في السان سلفادور تلك التي تعنينا، في زمننا.

رسالة الكنيسة الخلاصية

ما يدهش في فكر الأسقف روميرو هو أنه، رغم الشقاء الذي تعانيه كنيسته، ورغم تشديد العمل المباشر للقضاء على الاضطهاد والبؤس، لم ينس، ولم تغب عن عينيه، غاية الكنيسة الأساسية وجوهر رسالتها، ألا وهو تخلص البشر من الخطيئة وتوعيتهم لكرامتهم. لأنَّ الكنيسة الحية نور للعالم.

يقول المسيح لتلاميذه: «اقبلوا الروح القدس». ويشرح لهم: «كما أرسلني الآب كذلك أرسلكم»

(يوحنا ٢١/٢٠).

فالكنيسة نشأت مع نسمة روح المسيح ولن تكون رسالتها في العالم، وعبر الأجيال، إلا إعلان موته وقيامته.

فهي تقيم الطقوس وتبشر بالكلمة لهدف واحد: الخلاص من الخطيئة والتحرر من العبوديات، وانتشال البشر من عبادة الأصنام، وإعلان الإله الوحد الذي يحبنا. هذه هي مهمة الكنيسة الصعبة.

وهي تعلم أنها حين تقوم بها، تناول الصليب والخزي. فعليها إذاً أن تستعدّ لذلك،

وأن تخضع مثل المسيح، إذا لزم الأمر، للإذلال والاضطهاد والصلب والاستشهاد في سبيل أن لا تخون رسالتها.

* * * *

ما من شيء يهم الكنيسة أكثر من الحياة الإنسانية، خاصة عند الفقراء والمظلومين، لأنّهم بشر، وهم أيضاً آلة، إذ قال يسوع فيهم: «كُلّ ما يُفعل لهم فله يُفعَل». لذلك تتآلم الكنيسة في قلبها من كثرة الإساءة إلى الحياة

والكرامة الإنسانية والحرية.
 فهي تعلم أن كل إنسان صورة لخالقه.
 وما يصيب الإنسان يصيب الله.
 وتعلم أيضاً أن ما يتحمّله البشر
 - حتى غير المؤمنين، لأنّهم أيضاً صورة الله -
 هو «بصقات» في وجه الربّ،
 وضربات سوط على ظهره، وصليب آلامه.
 فلا تمييز بين صورة الله والإنسان.
 والذي يعذّب إنساناً،
 والذي يهين إنساناً،
 والذي يلقى على إنسان مسؤولية أمر سيءٍ،
 يفعل ذلك بالله.

ويقترح الأستاذ روميرو وسائل تستطيع الكنيسة بواسطتها أن تحقق رسالتها: أن تقوم التربية على تعليم الأطفال منذ حداثة سنّهم واجب المشاركة في الخيرات، وأن لا تغوص جميع المساعي لتحقيق السلام في مخططات ومشاريع بعيدة عن نظر الله. وأن تُدمج جميع الجهد في سرّ الفداء.

أيها الإخوة،
 نحن ويا للأسف ثمرة تربية روحية فردية علّمتنا هكذا:
 خلّص نفسك ولا تهتم بالآخرين.

فصرنا نقول لمن يتآلم:

«كن صبوراً، وتحمل مصائبك، فغداً تحظى بالسماء».

لا، فالخلاص ليس على هذا النحو،

وهو غير الخلاص الذي أتى به المسيح.

لأنَّ خلاص المسيح يحررنا من جميع العبوديات

التي يرزح الإنسان تحت نيرها.

وفي بلادنا، تهتم التربية كثيراً بتحصيل العلم،

في حين يحتاج شبابنا إلى أن يزدادوا في كيانهم،

ويسعدوا في تحقيق ذواتهم من خلال خدمتهم للآخرين بمحبة.

فليتنا لا نشجع نمو روح اشتقاء الثروة والسيطرة عند التلاميذ،

لأنَّ هذا لا يناسب احتياجاتنا الحالية.

لنفتح قلب الطفل والشاب على المثل الأعلى

الذي أساسه المحبة،

وعلى تعلم الخدمة وتكريس النفس.

فما خلا ذلك ليس إلا تربية على الأنانية،

ونحن نريد أن نتخلّى عنها،

فهي أكبر منبع لأنحراف مجتمعنا.

* * * *

على تربية الكنيسة أن تصنع رجالاً مسؤولين عن نموّهم

وأبطالاً في العالم.

أجل، من الرجال من يستطيعون أن يلهموا بذكائهم
وقدرتهم على الخلق،
وأن يضعوا أنفسهم بارادتهم في خدمة الوطن.
وعلى الأسرة أن تربى أبناءها وبناتها على السعي
لأن يكونوا أكثر مما هم عليه، لأن يملكونا أكثر مما يملكون.
لأن يملأوا أيديهم عطاً للآخرين،
لا لأن يحتكروا كلّ شيء لهم.
لا بدّ من أن يُربّي الطفل على المحبّة،
لأنّ الأسرة ليست شيئاً آخر غير المحبّة.
والمحبّة بذل للذات.
وبواسطتها يكرّس الإنسان نفسه لهناء المجتمع،
ويعمل على إسعاد الناس.

* * * *

تقول الكنيسة للناس وللمنظّمات ذات الهدف النبيل العادل:
«ما تقومون به حسن، لكنه غير كافٍ.
ادمجوه في سرّ الفداء المسيحي.
فإن لم تتحرّروا من الخطيئة،
وإن لم تسعوا جاهدين لتكونوا أبناء الله بالنعمة والقداسة،
وإن تحرّرتم بعيداً عن المسيح، معتمدين على مذاهب أرضية،
لن يكون تحرّركم كاملاً».

والكنيسة تقول لكم:
 «سأخدمكم بأن آخذ يدكم لأقودكم إلى الفداء الحقيقي،
 إلى مصيركم البشري، إلى دعوتكم الكاملة».
 هذه هي الخدمة العظيمة التي تريد الكنيسة أن تقوم بها

الكنيسة المزيفة

أثارت عظات الأسقف روميرو انتقاد كثير من الناس، خصوصاً أولئك الذين يستفيدون من الشقاء الإنساني. وجعل معارضوه يهجونه بأقذع الألفاظ في صحفهم (خصوصاً الصحف الحكومية). ولعل أكثر ما أثر فيه وألمه هو ظهور دعاة من أبناء رعيته يطالبون الكنيسة بأن تهتم بالأمور الروحية فقط، وأن «تعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله». لذلك نراه، في الفترة الأخيرة من حياته، يهاجم بجرأة هذه الادعاءات، ويحضر بحنكة حجاج معارضيه، ويعلن صراحة أنه لو لم يهتم بالآلام شعبه، ويثير بعنف في وجه الظلم، لخان رسالة الإنجيل، ولكان أسقفاً لكنيسة مزيفة.

رسالة الكنيسة رسالة صعبة،
 لأن عليها أن تستأصل خطايا التاريخ
 وخطايا السياسة والاقتصاد،
 وأن تستأصل الخطايا أينما توجد.

وهو عمل شاق،
 وطريق لا يمكن للكنيسة أن تجد فيه إلا المعارضه
 من أشخاص أسسوا بيننا ملکوت الخطئه،
 وفي عالم تسوده الأنانية والكبرياء والغرور.
 الكنيسة تتألم لأنه من واجبها أن تنطق بالحقيقة،
 وأن تندد بالخطئه وتستأصلها.
 فما من أحد يرضي بأن يمس جرحه.
 وإذا أثخن مجتمع بالجراح،
 لا بد له من أن يتفض حين يضغط عليها.
 فيا أيها الخاطئ: عليك أن تُشفى من جراحك!
 انزعها عنك. آمن بال المسيح، وارتدى إليه!

* * * *

لا عجب في أن يكون الصليب صعب الحمل
 إلى هذا الحد في الكنيسة.
 لأن القيامة على قدر الصليب.
 وكنيسة السهولة التي تهتم بمحاتتها هي كنيسة بدون صليب.
 وهي ليست كنيسة يسوع المسيح الأصليّة.
 فلتحذر الكنيسة التي لا تعاني من الاضطهاد
 بل تتمتع بالامتيازات وتشغلها أمور الدنيا،
 لأنها ليست كنيسة يسوع المسيح الحقيقية.

الكنيسة والعنف

وبعد بضع سنوات من التنديد بالمظالم، ووعي الأسقف روميرو عدم فهم أبناء رعيته لما ي قوله عن الكنيسة ورسالتها في استئصال الخطيئة من العالم، ولجأ البعض منهم إلى العنف المسلح للدفاع عن حقوقهم. ولعل أكثر ما أقلقه في هذا الشأن حمل بعض الكهنة السلاح للدفاع عن حقوق القراء، وهو ما أسموه: «الملجأ الأخير»، بعد أن أخفقت جميع الجهود الرامية إلى تحقيق العدالة والمساواة. لذلك اهتم في شرح التناقض بين روح الحب التي يجب أن تستولي على قلوب المسيحيين، والعنف الذي ينتج عن المطالبة بحقوق المقهورين ومحاربة الشر. فلم يؤيد العنف ولم يشجبه، بل يبين أسباب ظهوره وحتميته في مجتمع يغيب عنه العدل ويسوده الظلم.

إذا كانت الكنيسة لا تدعو إلى أزمة،

إذا كان الإنجيل لا يزعج البتة،

وإذا كانت كلمة الله لا تثير،

ولا تنقد خطيئة المجتمع الذي تُعلن فيه،

فأي إنجيل هذا وأية كلمة؟

فالوعظ الذي يرغبه بعض الناس

هو أن يسمعوا خواطر جميلة وتقىّة لا تضايق أحداً.

والوعاظ الذين لا يطرقون الموضوعات الحرجة

لكي لا يزعجو أحداً

ولكي يتجنّبوا المشاكل والمتابع،
لا ينيرون الحياة اليوميّة مطلقاً، ولا يملكون شجاعة بطرس،
الذي أعلن الحقيقة لمن لُطخت أيديهم بدم المسيح،
وهو يعلم أن هذا سيكلفه حياته.

هذا هو إنجيل الشجاعة، الخبر السار،
الذي بشّر به الآتي ليمحو خطيئة العالم.

* * *

نحن لا يمكننا أن نفهم جيداً صفحة التطويّات في الإنجيل.
لذلك يظنّ الشباب أنه بالمحبة التي تذكرها التطويّات،
لا يمكنهم أن يبنوا عالماً أفضل.
فيختارون العنف وحرب العصابات.
ليكن واضحأً لدى الجميع:

لن تسلك الكنيسة أبداً هذا السبيل، ولن تختار طريق العنف.
وكل ما يُقال بخلاف ذلك هو افتراء.
لأن الكنيسة تختار طريق المسيح وهو التطويّات.
أنا لا أتعجب أن لا يفهم الشباب ذلك،
لأنهم بطبيعتهم قليلو الصبر، ويريدون فوراً عالماً أفضل.
لكنّ المسيح حين بشّر بالتطويّات منذ عشرين قرناً،
كان يعلم أنه يشعل ثورة أخلاقية بعيدة الأمد.
ونحن لا نرتدّ إليه ونبعد عن أفكارنا الدنيوية إلاّ ببطء.

* * *

حين تندد الكنيسة بأعمال العنف الثورية،
 فإنها لا تنسى أن هناك عنفاً أولاً،
 وأن عنف المضطهدين اليائسين لا يُقمع بقوانين متحيزّة
 ولا بالأسلحة أو بالسلطة التعسفية.
 لا بدّ لنا من تجنب أعمال العنف الثوريّ.
 وذلك لا يتم، كما يقول البابا، إلا بتضحيات شجاعة،
 تزهد في كثير من وسائل الراحة.
 ما دامت العدالة مفقودة بيننا، فهناك دائماً نوبات حمّى ثوريّة.
 ورغم أن الكنيسة لا توافق على الثورات الدمويّة ولا تبرّرها،
 فإنّها لا تستطيع أن تدين صرخات الحقد
 ما لم يبذل جهد ظاهر لإزالة أسباب قلق مجتمعنا.
 هذا هو موقف الكنيسة: أن تكون مسرح نزاعات فظيعة،
 فهو التعبير عن أمانتها لعدالة الله ولإنجيل سيدنا يسوع المسيح.

الكنيسة والسياسة

من الطبيعي، بعد هذه الأقوال الجريئة عن العنف، خصوصاً
 عنف المضطهدين، أن يُتهم الأسقف بأنه يدعو إلى تيار سياسيٍّ
 معارض، أو أنه عميل لدولة خارجية يتلقّى منها المساعدات سراً.
 لذلك نراه طوال عام ١٩٧٩، وهو العام الذي يلي تصريحاته عن
 العنف التي ذكرناها، يشرح كيف يمكن للكنيسة أن تندد السياسة دون

أن تكون كنيسة سياسية، لأنها إن تسيّست تخون روح الإنجيل.

من المضحك أن يُقال في الكنيسة
إنّها تعمل لصالح نظام اشتراكيّ.

فالكنيسة لا تنتمي إلى أيّ نظام سياسيّ أو اجتماعيّ.
 ولو فرضنا جدلاً أن حكومة الغد صارت اشتراكية،
فإن كنيسة الغد ستكون الحاكم الذي ينقد
تصرّفات الاشتراكية الظالمة،

أو تشجّع ما هو حسن في الحكم، تماماً كما تفعل اليوم.
فكمّا أنّ يسوع هو المسيح الذي ينير مسيرة التاريخ،
كذلك الكنيسة هي النور الذي يضيء من الخارج حقيقة الحياة.
أمّا الشعوب، فهم أحرار في اختيار النظام الذي يريدونه،
لكنّهم ليسوا أحراراً في أن يستسلموا لنزواتهم.
وأيّاً كان النظام السياسيّ أو الاجتماعيّ الذي يختارونه،
فإن عدالة الله ستحاكم هذا النظام
لأن الله حاكم لجميع الأنظمة.

* * * *

لا يمكن للإنجيل أو للكنيسة
أن يسمحا لأية حركة اجتماعية أو سياسية بأن تتحكمهما.
فالخدمة التي تقدمها الكنيسة حالياً لأهل سان سلفادور
هي أولاً خدمة أصالتها: أي أن تكون كنيسة.

إِذَا جَعَلْتَ نَفْسَهَا قُوَّةً سِياسِيَّةً أَوْ كَلْمَةً سِياسِيَّةً،
فَإِنَّهَا تُشَوِّهُ مَطَامِحَهَا وَكَلْمَتَهَا أَيْضًا، وَلنْ تَسَاعِدَ النَّاسَ.
أَمَا إِذَا ظَلَّتْ هِيَ هِيَ، عَلَى غَرَارِ كُلِّ شَخْصٍ يَتَقَدَّمُ كَمَا هُوَ
فِي الصَّالِحِ وَالظَّالِحِ، وَبِدُونِ تَلَاعِبٍ أَوْ هَرُوبٍ،
فَإِنَّهَا بِذَلِكَ تَسَاعِدُ النَّاسَ.

هَذَا هُوَ جَمَالُ الْكَنِيسَةِ، وَهَذِهِ هِيَ صِرَاطُهُ الْإِنْجِيلِ:
أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ هُوَ هُوَ، سَوَاءَ سَارَتِ الْأَمْوَارُ عَلَى مَا يَرَاهُ
أَوْ اجْتَاحَ الْحَيَاةَ اضْطَهَادَ وَتَعَاظَمَتِ الشَّدَائِدَ.

* * * *

إِنَّ هَمَّيِ الْكَبِيرِ، أَنَا الرَّاعِيِ،
هُوَ أَنْ نَبْنِي كَنِيسَةً تَؤْكِدُ مَلْكُوتَ اللَّهِ،
بِدُونِ السَّعْيِ إِلَى مَقَاوِمَةٍ أَيّْ شَخْصٍ كَانَ
أَنْ نَبْنِي كَنِيسَةً تَكُونُ هِيَ هِيَ، لَا أَنْ نَرْتَلِ مَدَائِحَ يَوْمِ الْأَحَدِ.
وَكُلُّ مَنْ يَعْمَلُ مِثْلَهَا مِنْ أَجْلِ مَلْكُوتِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ،
يَنْسِجمُ مَعَهَا.

أَمَّا الَّذِي يَقاومُ مَلْكُوتَ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ فَسيَصْطَدِمُ بِهَا.

* * * *

الْأَحْوَالُ تَتَغَيَّرُ، وَمَشْرُوعُ اللَّهِ يَقْعِي ثَابِتًاً:
إِنَّهُ خَلاصُ الْبَشَرِيَّةِ.
وَالْكَنِيسَةُ مَكْلُوفَةٌ بِتَحْقِيقِهِ.

لذلك لا يمكنها أن تتماثل مع أي مشروع تاريخي. ففي الماضي، لم تحالف الكنيسة مع الإمبراطورية الرومانية أو مع هيرودس ولا مع أي ملك من ملوك الأرض. واليوم، لا يمكن للكنيسة أن تحالف مع أي نظام سياسي ولا مع أي استراتيجية سياسية من عالم البشر، بل عليها أن تنيرها جميراً وأن تبقى دائماً في الحقيقة التي تعلن تاريخ الخلاص، هذا هو مشروع الله. ولما كانت الكنيسة تسعى إلى بناء نصب للرجاء في قلب الإنسان.

فإنه لا يمكنها أن تتفق مع القوى التي لا ترتكز إلا على العنف، أو أن تؤازر تحركات زمنية وسياسية صرفية.

* * * *

أجل، تهتم الكنيسة بتحركات الأرض، وتألم مع الذين يتعدّبون، مع الأميين، ومن لا يملكون سكناً أو يظلّون بدون كهرباء. لكنّها تعرف أن شقاء الإنسان لا يقتصر على هذا، بل هو في باطنه، في أعماقه وفي قلبه، أي في الخطيئة. لذلك تريد الكنيسة، من خلال مساندتها

لجميع مطالب الشعب،
 أن تساعده على التحرر من قيود الخطيئة والموت وجهنم.
 وهي تقول للناس: « علينا جمِيعاً أن نعمل لنكون حقاً أحراراً
 أحراراً بحرية أبناء الله،
 تلك الحرية التي تجعلنا في الحقيقة أبناء الله،
 وتزيل عنّا قيود الخطيئة. »

* * * *

من الواضح جداً أن هناك نزاعاً قائماً بين الحكومة والشعب.
 ولما كنّا، رجال الدين، في صف الشعب، فالنزاع هو مع الكنيسة
 أيضاً.

أعيد وأكرر ما قلته:

«الكنيسة لا تسعى إلى مناظرة الحكومة».
 فأنا لا أبحث عن إثارة المشاكل للحكومة.
 وحين يُقال لي إنني هدام وأتدخل في السياسة، أجيب:
 «هذا اتهام باطل. لأنني لا أقوم إلا بتحديد رسالة الكنيسة
 التي تتبع رسالة المسيح».

فعلى الكنيسة أن تخلص الشعب وتوثيق مطالبه.
 وعليها أيضاً أن تمنعه من سلوك طريق الظلم والعنف،
 طريق البغض والانتقام.

نحن مع الشعب، ونعرف أنّه يتآلّم كثيراً.
لهذا يعادى جلّادو الشعب الكنيسة.

* * * *

الكنيسة ليست حزباً للمعارضة.
الكنيسة قوة من الله للشعب ليكون صانع مصيره.
الكنيسة لا ت يريد فرض أنظمة سياسية أو اجتماعية،
فهذا لا يجوز لها وليس من اختصاصها.
الكنيسة تدعو الناس إلى الحرية،
لكي يختار الشعب أسياده وينحهم ثقته
بدلاً من أن يفرضوا عليه فرضاً.
انظروا، إنّه بالحقيقة لأمر مضحك،
فقد اتّهمتُ هذا الأسبوع اتّهامين:
أحزاب اليمين اتّهمتني بالشيوعية،
وأحزاب اليسار اتّهمتني بالرأسمالية،
وأنا لست مع اليمين ولا مع اليسار،
لأنني أحاول أن أكون أميناً للكلمة
التي طلب مني ربّ أن أبشر بها،
وللرسالة التي لا يمكن تشويشها.
أنا أمين لما أقوله عن هؤلاء وعن أولئك،
في الخير الذي يقوم به البعض

والظلم الذي يقوم به البعض الآخر.
لسنا سياسيين لكي نشق بالقوى الإنسانية فقط.
نحن أولاً مسيحيون،
ونعلم أنه إن لم يبن رب البيت، فباطلاً يتعب البناءون.
كما نعلم أن قوتنا تأتي من الصلاة والتوبة إلى الله.

كنيسة الفقراء

يجدّد الأسقف روميرو هوية كنيسته معلناً أنها كنيسة الفقراء.
ولما كان يعلم أن تصنيفاً كهذا من شأنه أن يلقي على الكنيسة صبغة
سياسية معينة، أو يقحمها في تيار إيديولوجي خاصّ، نراه يستدرك في
كلامه، ويبيّن بوضوح ماذا تعني الكلمة «كنيسة الفقراء». فهي ليست
كنيسة جماعة دون سواها، ولا كنيسة تميّز بين طبقات الشعب
فتفضل طبقة على أخرى، بل كنيسة كلّ من يشعر بافتقاره إلى الله،
واستعداده لأن يشارك الجميع بما أنعم الله عليه.

لا يشرف الكنيسة أن تتّفق مع السلطة.
لأنّ الكنيسة الحقيقية هي التي تُشعر الفقراء بأنّها لهم.
أجل، على الكنيسة أن تكون واقعية.

عليها أن تدعو جميع البشر، بما فيهم الأغنياء،
إلى أن يتوبوا ويخلصوا انطلاقاً من عالم الفقراء
الذين تذكرهم التطويّات.

وعندما نتكلّم عن كنيسة الفقراء،
لا نلجأ إلى الجدلية الماركسيّة.
وكان هناك كنيسة أخرى للأغنياء،
لأنّنا نتكلّم كالمسيح الذي قال:
«روح ربّ أرسلني لأبشر الفقراء» (لوقا ٤/١٨)
هذا هو كلام الكتاب المقدّس.
فلكي تسمع المسيح، عليك أن تصير فقيراً.

* * * *

أنا سعيد أيّها الإخوة لأنّ كنيستنا مضطهدة
لأنّها اختارت الفقراء أولاً وتبنت مصالحهم
لأنّها قالت للجميع، من حُكّام وأغنياء وأصحاب سلطة:
«إن لم تصيروا فقراء، وتهتمّوا بفقر شعبنا
كأنه فقر أسرتكم الخاصة
لن تستطعوا أن تخلّصوا المجتمع».
وفي رسالة مؤتمر بوبيلا إلى شعب أمريكا اللاتينيّة
جملة هي أفضل رد على من يقولون:
«إن الكنيسة تقصي عنها الأغنياء
حين تقول إنها كنيسة الفقراء».
لأن هذا الكلام خاطئ، ورسالة الكنيسة شاملة،
والله يريد أن يخلّص الأغنياء أيضاً.

ولما كان يريد خلاصهم، أعلن أنّهم لن يخلصوا
إن لم يقتدوا بال المسيح.

ولما عاش يسوع فقيراً بين الفقراء، ذُكر في رسالة بوبيلا
أن الفقر يعني أن يقبل الشخص دعوة الفقراء ويتحملها
وكانه يقبل بذلك دعوة المسيح نفسها:
«كل ما تصنعونه لواحد من إخوتي الصغار فلي تصنعونه»
وحين نتكلّم عن كنيسة الفقراء، نريد فقط أن نقول للأغنياء:
«انظروا إلى هذه الكنيسة واهتمّوا بالفقراء كما هم».

أو بوجه أصحّ
- وهذا ما أكدناه في بوبيلا -

ليتم الاهتمام بالفقراء على نور المسيح الذي سيقول لنا
في نهاية حياتنا:

«كل ما تصنعونه لواحد من إخوتي الصغار فلي تصنعونه»
(متى ٤٠/٢٥)

دور الأسقف في الكنيسة

لا يستطيع إنسان أن يصف مقدار صعوبة المواقف التي كان
على الأسقف روميرو أن يواجهها في بلدته. ومع ذلك، ما من أحد
استطاع أن يوقعه في الشرك ليتّهمه أو ليدينه أو ليثبت بطلان كلامه.
وإذا كان هذا الأسقف التاجر على الظلم قد نجح في مهمّته، فلأنّه

تمسّك بآهادب الفضائل، خصوصاً التواضع، وكان دائم الافتتاح على هبات الروح القدس بفضل مواظبه على الصلاة. فلنقرأ ما أعلنه على الملاً عن دور الأسقف في كنيسة المسيح.

ليست الرئاسة في الكنيسة سلطة بل خدمة.

فمن لا يصير طفلاً في الإيمان المسيحي،
طفلاً صغيراً جداً، لا يدخل ملوكوت السموات.

أيّ خزي لي، أنا راعيكم
- وأرجو من رعيتى أن تسامحني -

إن لم أقم بدوري الأسقفي في خدمتكم!
أنا لست رئيساً،

ولا صاحب عمل أو سلطة تريده أن تفرض ذاتها.
ما أنا إلا خادم الله وخادمكم.

ولا يصعب عليّ أن أكون راعياً صالحاً معكم،
لأنّكم شعب يحثّنا على أن نكون في خدمتكم،
لندافع عن حقوقكم ونكون صوتكم
فهدف عظاتي إذاً هو أن تكون صوت الشعب.

صوت الذين لا صوت لهم.

لهذا لا يعجب صوتي أصحاب الأصوات العالية

* * * *

أكرّر ما قلته سابقاً:

«لن يكون الراعي في أمان ما دام قطيعه في خطر»
 وأنا على يقين من أنّ الأسقف يحتاج دائماً
 إلى أن يتعلّم الكثير من شعبه.
 فالمواهب التي أعطاها الروح القدس للشعب،
 هي للأسقف محكّ تواضعه وأصالته،
 أنا أُعترف بحدودي وشقايّي.
 ومع ذلك، لا يكتفي أن أعرض عن الدور
 الذي عهد به المسيح إليّ،
 وهو أن أكون للأبرشية علامة وحدة الكنيسة
 وعقيدتها الحقيقية.

* * *

لست سياسياً ولا رجل علم اجتماع أو اقتصاد.
 لست مسؤولاً عن إيجاد حلول لمشاكل البلد
 السياسية والاقتصادية.

فمن العلمانيين من يتحمّل هذه المسؤولية الكبيرة.
 ومن منصبي الرعوي، لا أطلق إلا دعوة واحدة:
 «استخدموا الوزنات التي أعطاكم الله إياها!»
 أما مهمتي الرعوية - التي أحارُ جاهداً أن أؤديها -
 فهي أن أبني الكنيسة الحقيقية،
 كنيسة سيدنا يسوع المسيح.

ولا تظهر روح الأَسقف المُنفتحة على الروح القدس من خلال إقراره بموهِّب أبناء رعيته وحسب، بل في حَثّه للمؤمنين على أن يستخدموها جميعاً موهِّبهم لبناء عالم أفضل. وبذلك يبيّن للجميع أنه لا يريد السلطة للتسلّط ولقمع الإرادات الطيّبة، بل لتنسيق جهود المؤمنين، والقيام بدور الحكم، فيميز غثّ المبادرات من سمينها.

أعلم أن روح الله الذي كون جسد المسيح في أحشاء مريم، والذي يكون الكنيسة اليوم هنا في أبراشيتنا، هو الروح الذي يرفرف على خلق جديد.

أظن أن هناك شيئاً جديداً في طور النّمُو بأبراшиتنا. فأنا رجل ضعيف البنية ومحدود الإمكانيّات، ولا أستطيع أن أدرك ما يحدث.

لكتنّي على يقين بأن الله يرى ما ينمو فينا.

وما دورِي في الرعيّة إلا أن أعمل بما قاله القديس بولس:

«لا تخدموا الروح القدس» (١ تسالونيقي ١٩/٥)

فلو استخدمت سلطتي للسيطرة وقلت لـكاهن: «لا تفعل هذا» أو لـجَماعة: «لا تذهبِي في هذا الاتّجاه»،

واعتبرت نفسي كالروح القدس،

لصنعت كنيسة على ذوقِي، وأحمدت الروح القدس.

فما عليّ أن أفعله إذاً هو أن أعمل

ما يقول القديس بولس أيضاً:

«تحقّقوا من كُلّ شيء وتمسّكوا بالحسَن منه»
 (١٢١/٥ تسلونيقي)
 لذلك أسأل الروح القدس غالباً أن يمنعني موهبة التمييز.

* * *

أشكر الله من أجلكم،
 إذ اكتشفت لديكم عدداً لا بأس به من مواهب الروح القدس.
 فلو بالغت في ممارسة سلطتي لقلت لكم:
 «لا يحقّ لكم الكلام، فهذا من حقّ الأسقف وحده.
 أما أنتم فاصمتو!!»
 لا... علىّ أن أسمع ما يقوله الروح بضم شعبه.
 علىّ أن أتسلّم من الشعب، وأحلّ ما يقوله لي،
 ثم أستخدمه في بناء الكنيسة.
 هكذا يجب أن تُبني كنيستنا:
 في احترام الموهبة الرسمية لمن يميّز ويجمع
 ويوحد المواهب المختلفة.
 إنه دور الرئاسة ودور الكهنة،
 شرط أن يحترموا جميع ما يودعه الروح القدس في شعب الله.
 فما تمناه موسى يحدث الآن:
 «ليت كُلّ شعب الربّ أنبياء يأحلّ روح الربّ عليهم!»
 (٢٩/١١ عدد)

أظن أن هذا ما يحدث في أبرشييتنا، إذ يتقبل الشعب روح الله.

* * * *

حين أزور الجماعات، أجتهد في احترام
الثروات الروحية الكثيرة وأوجهها،
تلك التي أجدتها لدى أبسط الناس وأعظمهم تواضعاً.
لأنّ الروح يطلب متّا أن نبني بتناسق المواهب.
هذا هو فرح راعي الكنيسة:
أن يسعى لكي ينال المسيح كلّ محبة واحترام ومؤازرة.
ولو كان وجودي البشريّ الحقير يعرقل ذلك
لقلت مثل يوحنا المعمدان:
عليّ أن أصغر لكي يعظم عريس الكنيسة.
فأنا لست منافساً وإنما خادم في التواضع والمحبة.
وما أعظم سعادتي حين أراه يكسب قلب كنيسته.

دور المسيحي في العالم

هل يعيد الأسقف روميرو تقليد الكنسية الأولى أم يعطي
للعلمانيّ مسؤولية أكبر في الكنسية عملاً بتوصيات المجمع الفاتيكانى
الثانى؟ الإجابة على هذا السؤال صعبة جداً. فالصورة التي يرسمها
هنا، والتي يصف بها ما يجب على مسيحيي السلفادور أن يكونوا،
هي مزيج بين الماضي والحاضر، وتحمل في ثنياتها اختبار الكنسية
الجامعة طوال عشرين قرناً.

ما أجمل ذلك اليوم الذي يفهم فيه كلّ معمّد أن عمله
أو مهنته هو عمل كهنوتي !
أنا أقيم الآن قدّاساً على هذا المذبح.

ويقيم النّجّار قدّاسه على منضدته في الورشة.
وسباتك الرصاص أمام فرنـه.
والجرّاح ببعضـه.
والبائعة وراء خزنتها.

الجميع يقومون بوظيفة كهنوتية.
أعلم أن كثيرين من سائقـي سيارات الأجرة
يسمعونني الآن من خلال «الراديو»
أيها السائق: أنت كاهن خلف مقودك إذا عملت باستقامة،
وإذا سـأـلت اللهـ أـنـ يـرـافقـكـ فيـ تـنـقلـاتـكـ
وإذا نـقـلتـ رسـالـةـ سـلامـ وـمـحـبةـ إـلـىـ زـبـائـنـكـ.
فـالـإـيمـانـ الـذـيـ يـكـتـفـيـ بـحـضـورـ قدـاسـ يـوـمـ الـأـحـدـ
وـيـقـبـلـ الـظـلـمـ طـوـالـ الـأـسـبـوعـ،ـ لـاـ يـرـضـىـ بـهـ الـرـبـ.
وـالـإـيمـانـ الـذـيـ لـاـ يـقـتـصـرـ إـلـاـ عـلـىـ صـلـوـاتـ لـامـتـاهـيـةـ،ـ
وـيـتـرـكـ القـلـبـ مـلـيـئـاـ بـالـخـبـثـ،ـ لـيـسـ إـيمـانـاـ مـسـيـحـيـاـ.
وـالـكـنـيـسـةـ الـتـيـ لـاـ تـعـمـلـ إـلـاـ لـرـفـاهـيـتـهـ،ـ
وـتـجـمـعـ الـمـالـ الـكـثـيرـ وـتـعـيـشـ فـيـ الرـخـاءـ وـتـنـسـىـ عـثـارـ الـمـظـالـمـ،ـ
لـيـسـ كـنـيـسـةـ فـادـيـنـاـ إـلـهـيـ.

* * *

أيتها الإخوة:

إذا رغب أحد أن يكون في هذه الأيام مسيحيًا عليه أن يكون قادرًا على التبشير بعقيدة المسيح دون هلع، وألا يجبره الخوف على الصمت أو قول ما يجتنبه المشاكل. فالمسيح في أيامنا هو من ينال قوّة الروح القدس من سرّ التثبيت،

ليصير جنديًا شجاعًا من جنود المسيح الملك، وينشر عقيدته و يؤثر في القلوب بمشاركة شجاعة ضروريّة لحماية حقوق الله.

أتمنى أن يكون هذا الصباح لنا، ولـي أنا بالذات، زمن تجديد في الروح القدس و ذكرى لقيمتنا نحن المسيحيين. وإذا لزم الأمر، ليكن التثبيت سرّ الاستشهاد للشهادة.

لنكن مستعدّين لأن نبذل حياتنا للمسيح، وأن لا نخونه كما يفعل بعض المسيحيين الكذابين الجبناء.

فنحن نحتاج اليوم وي الحاج إلى المسيحي الفعال الناقد، الذي لا يقبل الأمور إلا بعد أن يحلّلها ويكشف أبعادها.

لا نريد حشودًا بشرية تكون العوبة في يد السلطات.

بل أعضاءً يعملون كالنمل، ويرضون بالعدل ويرفضون الظلم. أعضاءً يعرفون كيف يستغلّون هبة الحياة الثمينة أحسن استغلال في جميع الظروف.

المسيحي ووسائل الإعلام

وفي مرّة من المرات، هدّدت سلطات الحكومة بمصادرة إذاعة الكنيسة التي يسّت الأسقف روميرو عظامه من خلالها إلى جميع أبناء رعيته، وبنّع صدور صحيفة الأبرشية، فساد الاضطراب قلبه، وجعل يذكّر أبناء رعيته بدورهم في نقل الكلمة والبشرة، ويركّز على دور الأسرة في زرع بذرة الإيمان في قلوب الأطفال، شباب المستقبل وأمل الكنيسة والمجتمع.

لو سحبت السلطات الإذاعة من أبرشيتنا في يوم ما،
ومنعتنا عن إصدار صحيفتنا الأسبوعية،
وحرّمت علينا الكلام،
وقلت كهنتنا، والأسقف أيضاً،
ومكتشم أيها الإخوة بدون كهنة،
لوجب على كلّ واحد منكم حينذاك
أن يصبح مكبّر صوت الله.

فما دام هناك معّدون، هناك كنيسة.
ولو لم يق في العالم إلاّ معّد واحد
لكان من مسؤوليته أن يرفع راية الحق وعدالة الله.

* * *

أكرّ لكم أيها الإخوة:

إن أفضل مكبّر صوت لله هو المسيح.
 وأفضل مكبّر صوت للمسيح هو الكنيسة.
 والكنيسة هي أنتم.
 كلّ منكم في مكانه وبحسب دعوته:
 الراهبة والمترّوج والأسقف والكاهن والتلميذ
 والطالب والعامل والبائعة في السوق.
 على كلّ واحد أن يحيا إيمانه بحرارة شديدة
 وأن يصبح في بيته مكبّر صوت حقيقيّ لله ربنا.

* * * *

هناك عائلات لا توقظ الإيمان في قلوب الناس،
 لأنها تحيا بحسب تقاليد تسمّمها
 المصالح الاقتصادية والسياسية
 المضادّة لحقائق الإيمان،
 ويمدح فيها الناس ديانة تحمي مصالحهم فقط.
 فهؤلاء المسيحيون يكتفون بأن يمارسوا مع ذويهم
 تقاليد غريبة عن التقاليد المسيحية الحقيقية.
 أما أنتم،
 فلا يكن إيمانكم مرتبطاً بوعظ رئيس الأساقفة،
 لأنني لست ذا أهميّة كبيرة، وما كلمتي
 إلا صدى بسيط لكلمة الله.

وإذا نفذت هذه الكلمة إلى قلوبكم،
فالفضل بذلك يعود إلى الله،
لأن أصحاب العزيمة الصادقة، والعائلات والجماعات،
يجعلون من هذه الكلمة حياة لهم وعظة حيّة للآخرين.

* * * *

اليوم أكثر من أيّ وقت مضى،
نحن بحاجة إلى وسيلة تنشر كلمة الله في أثناء قدّاس الأحد.
لذلك فإنّ صمت إذاعتنا العزيزة يضايقنا.
كلّكم تعلمون أنّ في يوم الإثنين الماضي،
أتلِفَ جهازنا الإذاعيّ بانفجار قنبلة،
وضعها فريق من حزب الشمال المتطرّف.
هذا الاعتداء هو تعدّ جسيم على حرّيّة التعبير.
فهناك من يسعى لإسكات صوت الأبرشية الرعويّ،
لأنّ هذا الصوت يريد أن يكون صوت الصامتين،
ولأنّه يندد بانتهاكات حقوق الإنسان،
تدعى أنها انتهاكات قانونيّة.
وأيضاً لأنّه يحاول أن يقول الحقّ ويدافع عن العدالة،
وينشر الرسالة المسيحيّة التي كانت منذ أيام يسوع،
تشكّك مقتدرى زمانه،
والتي كما في أيامنا،

لَا يسمعها إِلَّا الفقراء ولا يقبلها إِلَّا البسطاء.

* * * *

إِذْهُرُوا أَيّهَا الإِخْوَةِ.

فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَدْهُشَةُ

الَّتِي هِيَ الصَّحَافَةُ وَالْإِذَاعَةُ وَالتَّلْفِيُّزُونُ وَالسَّينِيمَا،
وَالَّتِي يَنْالُ بِفَضْلِهَا الْجَمْهُورُ مَعْلُومَاتٍ جَدِيدَةٍ،
هِيَ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ سَبِيلًا لِلفَوْضِيِّ.

فَوْسَائِلُ الْإِعْلَامِ الَّتِي تَكْيِيفُ الرَّأْيِ الْعَامِ،
تُسْتَعْمَلُ غَالِبًا وَتُدَارُ لِمَصَالِحِ مَادِيَّةٍ،
وَتَسَاهمُ فِي الْحَفَاظِ عَلَى نَظَامِ ظَالِمٍ،
وَعَلَى الْكَذْبِ وَالْبَلْبَلَةِ.

فَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَسْعى لِللوْصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ بِنَفْسِهِ،
وَأَنْ يَحْتَفِظَ بِرُوحِ النَّقْدِ إِذَا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ.
لَأَنَّ كُلِّ مَا تَكْتُبُهُ الصَّحَافَةُ

وَنَرَاهُ فِي السَّينِيمَا أَوْ عَلَى شَاشَاتِ التَّلْفِيُّزُونِ،
وَكُلِّ مَا نَسْمَعُهُ فِي الإِذَاعَةِ، لَيْسَ بِالْمُضْرُورَةِ حَقِيقِيًّا،
بَلْ هُوَ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ عَكْسُ ذَلِكَ،
إِنَّهُ كَذْبٌ.

الفصل الثاني

في الفضائل المسيحية

المحبة

كان الأسقف روميرو رسول العنف المسلح. فإلى جانب تنديده بالفساد ورفضه لأعمال القمع التي تمارسها حكومة بلاده، ودعوته إلى الاحتجاج، لم ينس أن يذكر رعيته بجوهر الإيمان المسيحي، ألا وهو المحبة، وهو يدرك تمام الإدراك أن كلامه في هذا سيثير انتقادات الذين تبعوه وأحبّوه، لأن فظاعة الجرائم المرتكبة نمت لديهم حتّ الانتقام الدموي. ويبيّن الأسقف في عظاته أن المسيح يدعونا صراحة إلى مسامحة الأعداء ومغفرة الإساءة. والذي يسلك طريقاً آخر في تعامله مع ماضيه يخون تعاليم الإنجيل. والعظات التالية توقف بنجاح بين الدفاع عن حقوق الشعب أمام المضطهدين، والدعوة إلى محبة الأعداء.

لم نبشر قطّ بالعنف، بل نادينا بعنف المحبة،

تلك التي قادت المسيح إلى أن يقبل الصليب،
تلك التي تسمح لكل شخص بأن ينتصر على الأنانية،
وأن يقضي على الخلافات الحادة بيننا.

فعنف المسيح ليس عنف سيف أو عنف حقد
بل عنف محبة وأخوة،
عنفاً يريد أن يحول الأسلحة إلى مناجل للحصاد.

* * * *

إن حضارة مبنية على المحبة ولا تطالب البشر بالعدالة
ليست حضارة حقيقية،
ولا تتغلغل في عمق العلاقات بين البشر،
وهي صورة زائفة للمحبة.
لأنه يعطى فيها ما تفرضه العدالة على أنه صدقة،
ويصير الإحسان خيانة للعدالة الاجتماعية.
فالمحبة الحقيقية تطالب أولاً بما هو حق وعدل.
لو كان لدينا متسع من الوقت
لحللنا مضمون رسالة مؤتمر بوبيلا
التي تدعونا إلى بناء حضارة محبة.
فكثير من الناس يظنون أن هذه الدعوة إلى المحبة
لا معنى لها ولا قيمة.
وللأسف، يسألني بعض الصحفيين غالباً:

«أَوْأَنْتَ، يَا مَنْ يِيشُّرْ بِالْمُحِبَّةِ، أَتَظَنَّ حَقًا
أَنَّهُ فِي مَقْدُورِهَا أَنْ تَنْظِمَ أَحْوَالَ الْبَلَادِ؟
أَلَا تَظَنَّ أَنَّ الْأَحْوَالَ لَا تَتَغَيِّرُ إِلَّا بِالْعَنْفِ؟»
أَلَمْ يَكُنْ الْعَنْفُ الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ لِلتَّغَيِّيرِ فِي تَارِيخِ الشَّعُوبِ؟
وَأَنَا أَجِيَّهُمْ:
«لَوْ كَانَ مَا تَقُولُونَهُ صَحِيحًا،
لَكَانْ بِرْهَانًا عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَسْتَعْمِلْ بَعْدَ الْقُوَّةِ الَّتِي تَمْيِيزَهُ.
فَهُوَ لَا يَتَمْيِزُ بِالْقُوَّةِ الشَّرِسَةِ، لِأَنَّهَا مِنْ خَصَالِ الْوَحْشِ،
وَإِنَّمَا يَتَمْيِزُ بِالْعُقْلِ وَالْمُحِبَّةِ».»

* * * *

أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ الْأَحْبَاءُ!
مَا نَقْوُمُ بِهِ فِي الْأَبْرَشِيَّةِ لَيْسَ مُوْجَهًا ضِدَّ أَحَدٍ.
لَأَنِّي أَحْوَلُ أَنْ أَكُونَ مِنْ خَلَالِ عَمَلِي عَلَامَةً
عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّنَا وَيُرِيدُ أَنْ يَخْلُصَنَا.
وَكَمَا تَقُولُ وَثَائِقُ مؤْتَمِرٍ بُوْيِيلَا عَنِ الزَّوَاجِ،
الْكَنِيسَةُ لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ
غَيْرَ عَلَامَةٍ مُحِبَّةٍ اللَّهِ فِي الْعَالَمِ.
وَإِذَا كَانَتِ الْأُسْرَةُ تَجْسِدُ هَذِهِ الْعَلَامَةَ،
فَلَأَنِّي اَنْعَكَسُ لِلْكَنِيسَةِ.
وَالْكَنِيسَةُ - عَرْوَسُ الْمَسِيحِ - اَنْعَكَسُ لِمُحِبَّةِ اللَّهِ.

فياليتنا لا نكفّ أبداً عن الحثّ على المحبّة لأنها القوّة التي ستنتصر على العالم.
 يا ليتنا لا نكفّ أبداً عن الحثّ على المحبّة حتى ولو رأينا أمواج العنف تطغى عليها وتغرقها.
 فالمحبّة ستنتصر حتى ولو ظلت وحدها.
 صحيح أننا حازمون في حماية حقوقنا، ولكننا نفعل ذلك بمحبّة قلبية كبيرة.
 لأنّنا حين نحمي حقوقنا بمحبّة نصبوا في الآن نفسه إلى ارتداد الخطأ.
 هذا هو انتقام المسيحي

* * * *

أيها الإخوة:

حين تدعون الكنيسة إلى المحبّة والمصالحة والغفران يظهر كلامها تافهاً، إذا قورن بكلام الأنبياء وهم يعلنون السعادة والحرىّة لأسرى بابل.
 ومع ذلك، هناك من لا يثق إلا في العنف والخطف والإرهاب.
 لن تسير الكنيسة أبداً في هذا الاتّجاه.
 وكلّ من يقول عكس ذلك فهو كاذب ويعظّم حالة اضطهاد كنيستنا بافترائه.

فإذا حاول بعضهم أن يُسكتوا صوتي، لا تقلقا علىّ،
بل اهتموا بمن يجعلكم تقولون: «أحبّوا بعضكم بعضاً».
فالذى عليكم أن تسمعواه لست أنا
بل الربّ الذى يحبّنا ويطلب منّا أن نحبّ بعضنا بعضاً.

مسامحة الأعداء

ومن القلب المملوء بمحبة الله، تتدفق كلمات، تستحقّ أن تُسطّر بماء الذهب، عن محبة الأعداء والسامحة. وبعد أن فُجع الأسقف باغتيال صديقه الحميم الأب غراندہ اليسوعي، وصله نبأ اغتيال صديق آخر مع خمسة كهنة من أبرشيته. فأسرع إلى مكان الحادث، ورافق جثمان الشهداء حتى الكنيسة. وحين وقف ليؤنّ أحبّاءه الكهنة المقتولين، ونظر إلى الجمع فعرف من بين الحضور كثيراً من أسر المختطفين، أفاض الروح القدس من شفتيه شهادة صادقة لروح الإنجيل وجواهر إيمان المسيحيّ.

قد يسمعني الآن صاحب اليدين الملطختين بالدم، لأنّه قتل الآب غراندہ وأطلق الرصاص على الآب نافارو. ليرى الذي قتل، والذي عذّب، والذي اقترف شروراً كثيرة. أقول لهم، وهم هناك في كهف إجرامهم، ويشعرون بالندامة، أنتم أيضاً يمكنكم أن تنالو الغفران.

فيا إخوتي الذين تبغضونني،
 يا أصحاب الأيدي الملطخة بالدم،
 يامن تقولون إبني أبشر بالعنف،
 وتفترون عليّ وأنتم تعلمون أنكم تكذبون،
 يامن تلطخت أيديهم بدم الجريمة والتعذيب
 وأعمال العنف والظلم...
 توبوا عن خطاياكم.
 فأنا أحبّكم وحزين عليكم،
 لأنكم تسلكون في طريق هلاك نفوسكم.

* * * *

آه، لو تتمكن جميع هذه الأيدي المضرّجة بالدم في وطننا
 - حين يهالها منظره -
 أن ترتفع نحو ربّ لطلب منه أن يغسلها!

والآن أيها الإخوة:
 لنصلّ من أجل الذين يستسلمون
 ويخونون ويخرجلون من الإيمان.
 لنصلّ من أجل إخوتنا الضعفاء
 الذين يشكّون في صدق كلامي.
 لنصلّ، مثلما كان المسيحيّون الأوائل يصلّون
 حين يحدق بهم خطر عظيم،

لكي نظل أمناء في رسالتنا وثابتين في تبشيرنا، ولكي نستطيع أن نقول مثلهم أيضاً: «الله أحق بالطاعة من الناس».

الفقر المسيحي

من الصعب أن يتكلّم المرء عن الفقر في بلد بائس كالسلفادور. فأيّ حديث عنه يمكن أن يزلق المتكلّم في أحد الطرفين: رفض الفقر والدعوة إلى الثورة، أو تمجيده وقبول الظلم الاجتماعي. وكان الأسقف روميرو يعي هذا المنزلاق، ويعلم أنه لا بدّ من التمييز بين الفقر الاختياري والفقير الإجباري. فال الأول مطلوب وواجب على كلّ مسيحي، لكي يتمكّن من استقبال الكلمة الله، والثاني شرّ مرفوض علينا أن نحاربه ونقضي عليه ليكون المجتمع عادلاً.

إنّ أسبوع الآلام دعوة إلى اتّباع شدّة المسيح، وهي العنف الشرعي الوحيد، العنف الذي مارسه تجاه نفسه والذى يريد أن نمارسه تجاه أنفسنا.

«من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه» (متى ٢٤/١٦) فليمارس الإنسان العنف على ذاته، وليقمع ثورات كبرياته،

ويزيل من نفسه جذور البخل والحسد والكبرياء والتباھي.

ليقتل كل ذلك في قلبه لأن هذا ما يجب قتله.

هذا هو العنف الذي علينا أن نقوم به ليبرز فينا الإنسان الجديد.

ذلك الإنسان الذي يبني المدنية الجديدة، مدنية المحبة.

لا بد لنا أن نتعلم الدرس الذي أعطاه المسيح:

«من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه»

أجل، فليزهد في نفسه.

فليزهد في التسهيلات وفي آرائه الشخصية،

وليتبع فقط فكر المسيح الذي يمكنه أن يقودنا إلى الموت،

ومن الموت يقودنا حتماً إلى القيامة.

ويأخذ الأسفف رومIRO من مريم مثالاً للفقر المسيحي، أي

انتظار كل شيء من الله، وهو فقر روحي أكثر منه مادي.

ويدعو جميع المسيحيين إلى الاقتداء بها والابتعاد عن غرور العظمة والتباھي.

لأنه ما من أحد يستطيع أن يستقبل كلمة الله المتجسد إلا إذا كان

فقيراً بالروح.

تتميز مريم والكنيسة في أمريكا اللاتينية بالفقر.

ويقول لنا المجمع القاتيكانى الثاني:

إن مريم هي صورة للفقراء الذين ينتظرون فداءهم من الله.

وهي تظهر في الكتاب المقدس

على أنها التعبير عن الفقر والتواضع،

كالشخصية التي تنتظر كلّ شيء من الله.

فالفقر هو الاحتياج إلى الله.

والفقر هو احتياجي إلى الآخر، إلى الأخ.

والفقر هو أن يتعاون البعض مع البعض الآخر،

وأن يستنجد البعض بالبعض الآخر.

هذه هي مريم والكنيسة في قارتنا.

وإذا حدث أن خالفت الكنيسة روح الفقر،

فلأنها لم تكن أمينة للإنجيل.

* * * *

لا يمكن لأحد أن يحتفل حقاً بعيد الميلاد إن لم يكن فقيراً.

فالذين يحبون أنفسهم، والمتكبرون،

والذين يحتقرون الآخرين من علو ممتلكاتهم،

والذين في غنى تام عن الله،

لا يمكنهم أن يعرفوا ما هو عيد الميلاد.

أما الفقراء والجائع والذين يحتاجون إلى من يزورهم،

فإنهم يستطيعون أن يستقبلوا هذا الشخص الذي يقصدهم،

وهو الله، عمانوئيل، الله معنا.

فبدون الفقر الروحي لا يستطيع الله أن يملأ القلوب.

ومن باب الأمانة إلى تعاليم الإنجيل، يعتقد الأسقف روميرو

سلوك الأغنياء، ويشير إلى واجبهم في الاهتمام بالفقراء، لأن «السعادة

في العطاء هي أكبر من الأخذ». كما يبيّن أن مشاركة الجميع بالخيرات الأرضية هي ضرورة ملحة تملّها أبسط مبادئ العدالة الاجتماعية.

لا يُقاس صدق صلاتي بعدد الكلمات
بل إنّ أصالتها ترتبط في الرّد على السؤال:
ما هو سلوكي مع الفقراء؟ لأن الله لديهم.
فأنت تقترب من الله بالطريقة التي تقترب بها من الفقير،
وبالمحبة التي تظهرها للفقير أو باحترارك له.
فما تفعله للفقير تفعله الله.
وبالطريقة التي تنظر بها إلى الفقير تنظر إلى الله.

* * * *

العالم لا يقول طوبى للمساكين بل طوبى للأغنياء،
لأنّ قيمتك هي في ما تملك.
أما المسيح فيقول: هذا كذب!
طوبى للفقراء، فإن لهم ملائكة السموات.
لأنّهم لا يضعون ثقتهم في ما هو زائل.
فكلّ من يهتم بالجحود من حقوقه
والفقير والمفقود والمعدّب والسجين وكلّ جسم يتآلم
هو قريب من الله.

* * * *

عندما أراد البابا بولس السادس تعديل فكرة الإمادات قال إن هناك عدّة طرق لفهم روح الإمادة في الحياة المسيحية. فالصوم في البلاد الغنية، حيث يتوفّر الغذاء، يختلف عنه في البلاد النامية، حيث الصوم واقع يوميًّا. لذلك يقول البابا إن الإمادة تُمارس في التقشف حيث مستوى المعيشة عالٍ. لكنّها تقوم على ممارسة التعاون مع من يتعدّبون، والعمل لبناء عالم أفضل حيث حياة الناس صوم دائم. هذه هي روح الإمادة، وهي إرادة الله.

* * * *

ربّما رغب الكثيرون في أن يردد الفقير بدون انقطاع: «إنها إرادة الله»، ويستمرّ في حياته البائسة. لا، ليست إرادة الله أن يحصل البعض على جميع الخيرات، ولا يحصل البعض الآخر على شيء. فإنّ إرادة الله هي أن يكون جميع أبنائه سعداء. ليس هناك نوعان من الناس. ليس هناك من ولدوا ليملكون كلّ شيء ولا يتركوا شيئاً للآخرين. فغالبية الناس لا يملكون شيئاً، وليس لديهم فرصة لبلوغ السعادة

التي خلقها الله للجميع.
المجتمع المسيحي الذي يريده الله
هو مجتمع مشاركة في الخيرات التي أعطاها للجميع.

* * * *

ما نفع الطرق الجميلة والمطارات الفاخرة
والمباني الشاهقة والكبيرة،
إذا كانت معجونة بدم الفقراء الذين لن يتذمرون منها أبداً؟
وما أجمل اليوم الذي يظهر فيه مجتمع جديد،
يوزع خيراته ويشارك بها ويقسمها،
بدلاً من أن يكذبها ويحفظها لنفسه بطريقة أنانية!
ما أجمل اليوم الذي نفرح فيه معاً،
إذ نكتشف أننا أبناء الله.

* * * *

أنا أنقض بوجه خاص مطلقيّة الثروة.
هذا هو شرّ السان سلّقادور الأكبر:
أن تُعتبر الثروة والملكيّة الخاصة مقدّسات لا تُمسّ.
فهناك من يتمنى إلهًا يضعه في جيشه
إلهًا ينسجم مع أصنامه ويقبل الأجر
الذي يدفعه لعمّاله اليوميين.
إلهًا يرضى بأعمال العنف التي يقوم بها.

كيف يتلو البعض الصلاة الريّة
وهم يعاملون الله كواحد من موظّفيهم أو فلاّحיהם؟

خطيئة القراء

ولم يهمل الأسقف روميرو تقرير القراء في عطاته على جميع التصرّفات السلبية التي تصدر عنهم. فالراعي يعرف خرافه. ويعلم تمام العلم نقاط ضعفها وسقطاتها. كما أنه لم يهمل المساعي الطيبة والأيدي السخية والمبادرات الإيجابية التي تصدر عن بعض الأغنياء لتحقيق العدالة وللمساهمة بعض الشيء في دعم نشاط الكنيسة ورسالتها لدى القراء.

قد يميّز روح البخل مَن نسمّيه القراء، وهم ليسوا بقراء، لأنّ البخل يملأ قلبهم.

وقد تكون ضحايا البخل حاضرة هنا بينما في طبقة المحرّمين كما في طبقة الأثرياء. لذلك حين نعظ القراء والأغنياء

لا نحاول كتمان خطايا القراء وإهمال فضائل الأغنياء. هؤلاء وأولئك خطأة، وهؤلاء وأولئك بحاجة إلى التوبة، رغم أنّ الفقير هو أكثر استعداداً لها، بسبب عوزه، وشعوره بالحاجة إلى الله. لذلك إذا أردنا حقاً أن نعرف ما هي التوبة

والإيمان والثقة في الآخر،
 علينا أن نصير فقراء،
 أو على الأقلّ أن نتبني بعمق قضيّة الفقراء.
 عندئذ يكتشف الإنسان ما هو الإيمان وما هي التوبة،
 إذ ينال روحًا تشبه روح الفقير،
 ويكتشف أن رؤوس الأموال والسياسة والسلطة
 لا تؤول إلى شيء،
 وأنه بدون الله لسنا بشيء.
 فاكتشاف الحاجة إلى الله هو إيمان واهتماء.

الإيمان المسيحي والرجاء

لا يظهر صدق إيمان المسيحي إلاً عندما يواجه التجارب والصعاب. وفي السلفادور، كان الشعب يعاني أشد المعاناة من اضطهاد الحكومة. فاكتظت السجون بالمعتقلين السياسيين، وصارت الاغتيالات حوادث تتكرر هنا وهناك. وكان على الأسقف روميرو أن يقول كلمته للأسر الكثيرة التي فقدت أبناءها في اختطاف أو اغتيال، والتي تجمّعت لتصلي في الأول من شهر ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٧٧ على نية جميع ضحايا الظلم الأبرياء. وفي تلك اللحظات الحرجة، ألمهم روح الله راعي الفقراء ما يقوله لمن يتآلمون في جسدهم ونفسهم، ولمن فقدوا الرجاء وصاروا ينظرون إلى المستقبل نظرة يأس.

أيها الإخوة:

إن المسيح الفادي يتبنى عذاب الساعة البشرى.
إنه يتبنى آلام الأممات القدىسات
والاعتقالات التي يليها التعذيب.

فطوبى لمن يتحملون الظلم الأكبر على الأرض،
كما تحمله المسيح الذي يتبع خلاصه للعالم.

ولنحوّل هذا الظلم إلى فداء!

أؤكد لكم أن العذاب المقدس

الذي أصاب عدداً لا بأس به من الأسر فتبيّنت ظلماً،
هو في الآن نفسه عذاب مغذٍ يتحول إلى حياة ومحبة الله،
في هذه الكنيسة التي تبشر بالرجاء، وتدعونا إلى عدم اليأس.
لأنه ستأتي أيام العدل، أيام انتصار الله على الظلم البشري،
على ظلم البشر الشيطاني.

* * * *

في ساعة موت المسيح على الصليب،
بينما استسلم الجميع لليلأس،
كانت مريم تنتظر بصمت ساعة القيامة.

فمريم هي رمز الشعب، ضحية الطغيان والظلم،
بعذابه الصامت في انتظار ساعة القيامة.

إنه العذاب المسيحي، وعذاب الكنيسة،

التي لا ترضي بالظلمات الحالية،
وتنظر بدون حقد
ساعة عودة المسيح وهو يحمل إلينا الفداء الذي ننتظره.

* * * *

أيها الإخوة:
 الكنيسة لا تخدعكم بل تنظر بكل ثقة ساعة الفداء.
 وما فقدناه سيظهر ثانية.
 حينئذ يتحوّل حزن الأمهات إلى فصح
 ويصبح قلق الشعب الحائر المتلهف فصح قيامة،
 إن اتحدنا بالمسيح وانتظرنا منه كل شيء.
 فنحن البشر، لا نستطيع أن نحرر بلادنا،
 ولا يمكننا، سكان السلفادور، أن نخلص وطننا
 إن اعتمدنا فقط على قوانا البشرية.
 لكن التحرر يصير ممكناً إن انتظرناه من المسيح الفادي.
 وهذا هو رجاء الكنيسة.
 لذلك أطلب منكم أيها الإخوة
 أن يكون إيمانكم بالمسيح عظيماً.
 لأنّه مات ليغوض عن جميع المظالم،
 وقام من بين الأموات ليطهر بقبره جميع إساءات البشر
 ويجعل ذاته فداء لجميع الذين يتعدّبون.

فهو الرجاء والحياة الأبدية.

ومنذ ذلك الحين، صار موضوع الرجاء شغل الأسقف الشاغل. يعيده ويكرره في كلّ مرّة تستعد الكنيسة فيها لاستقبال الميلاد. إنه الخبر السار والبشري التي يجب إعلانها لأهل السلاقادر المقهورين.

افتتح ميلاد المسيح ملکوت الله في زمن البشر.
ومنذ عشرين قرناً، نتذكّر في ليلة الميلاد أن ملکوت الله قد حلّ وأنّ المسيح افتتح كمال الأزمنة.
وما ميلاده إلا علامة على أنّ الله يسير مع البشر في التاريخ، وأنه لا يتركنا وحدنا.

ومع أنّ اشتياق البشر إلى السلام والعدالة وملکوت السماء والقداسة لا يزال أمراً بعيد التحقيق في أرضنا، يمكننا أن نتوق إلى هذا الاشتياق، لا لأنّه يُمكّننا أن نبني عالم السعادة بأنفسنا، بل لأنّ الذي يبني ملکوت العدالة والمحبة والسلام، هو حاضر الآن يبنينا.

فيما ليتنا لا نستسلم لللّيأس، حتى وإن بان لنا الأفق مظلماً وحالك السواد، بحيث صار الناس يظنون أن ظروف البشر جعلت تحقيق مشاريع الله أمراً مستحيلاً. فالله يستخرج من خطايا البشر خيراً

ويبرز من الظلمات ما أعلنه أشعيا:
«الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً،
والجالسون في بقعة الموت وظلله أشرق عليهم نور»
(أشعيا ٢/٩)

ويضيف أشعيا ويقول:
«يبيد الموت على الدوام،
ويمسح السيد رب الدموع عن جميع الوجوه،
ويزيل تعير الشعب عن كل الأرض» (أشعيا ٨/٢٥)
فكيف لا نرثل أغنية الرجاء ولا نشعّ تفاؤلاً
أمام هذه المسيحية التي سلمناها من المسيح!

* * * *

كلاً أيها الإخوة:

لن تعيش مدينة سان سلفادور
ما تحياه اليوم للأبد.

فالرب يقول لنا:

سأزيل قناع العار الذي يغطي جميع قرى البلد،
وسأمسح دموع الأمهات اللواتي لا يملكن إلا عيوناً
تبكي أبناءها المفقودين.

أجل، سيزول عذاب العائلات الكثيرة
التي في يوم الأحد هذا

تعاني ب أجسادها آلام اختطاف أشخاص عزيزين عليها،
أو تعذيبهم أو اغتيالهم.

لأن هذه الأمور ليست من الله.

ست حين ساعة فرح الرب فانتظروها،
وكونوا ثابتين في الإيمان.

سيأتي يوم، لا تكون فيه هذه الأمور
إلا كابوساً من الماضي.

فلنحتفظ بهذا الرجاء في قلبا.

وينتقل الأسفف من الكلام العام إلى الخاص، ومن مخاطبة الجموع إلى الحديث مع الأفراد. وحيث إنه قريب من شعبه، يسمع صرائحهم ويعرف آلامهم، جعل يذكر ما تعانيه كل فئة من فئات الشعب، ويعلن لها بشري الخلاص، ويدعوها إلى التمسك بأهداب الرجاء، لأن نور المسيح سيتصدر في النهاية على عالم الظلم، وسيتحول حزنهم إلى فرح عظيم.

إن الفرح في المسيحية هو أن أعرف أن الله يذكرني،
ولو كنت أتفه الناس وأحقهم، ولا يفكّر في أحد.

نحن الآن في زمن تقديم هدايا الميلاد.

وكم من محروميين لا يفكّر أحدٌ فيهم!

أيها المحرومون، يا من يظنّون أنّهم لا شيء في التاريخ،
قولوا في أنفسكم وكرروا القول:

«أنا واثق من أنّ لي مكاناً في فكر الله». أودّ أن تصل كلماتي هذه إلى السجناء كشعاً نور من رجاء الميلاد.

وأنتم أيّها المرضى، والمسنون ويَا مريضي المشافي والمستوصفات، ويَا سكّان الأكواخ والوديان، ويَا من لا يكسبون ما يعيشهم طوال السنة إلّا من جني البنّ، ويَا جميع المعدّين، اعلموا أن الله لا يكفّ عن التفكير في كلّ واحد منكم.

وهو يحبّكم ويريدكم أن تولدوا منه كما ولد المسيح من مريم.

عندما ينقص الفقراء مكان يريحون فيه أجسادهم وأجساد أولادهم ويحتمون فيه من البرد القارس، عندما لا يملكون إلّا شبّكات نوم مهلهلة، بالقرب من الحقول وشجر البنّ والأماكن الأخرى، لا بدّ لنا من أن نتذكّر بأنّ المسيح أتى بالخبر السارّ للجميع.

وأن الله الذي خلقنا ويخلّصنا، يقدم سعادته ليشترك الجميع فيها.

* * * *

عليّ أيّها الإخوة أن أرحب بكم جميعاً في هذا اليوم
بميلاد يسوع والخبر السارّ.
عليّ أن أعلن لآتني راع للكنيسة.
ومن واجبي الرعوي أن أكون كأحد الرعاة
الذين زاروا الطفل يسوع.
وأن أتسلّم من فم الملائكة، بذات البساطة والتواضع،
الخبر الذي يهزّ القلوب: قلبي وقلبكم.
فكّلما عظمت بساطتنا وتواضعنا،
عُظُمَ فقرنا وتجّردنا عن أنفسنا.
وكّلما عشنا في الضيق، وأرهقنا نير مشاكل الدنيا،
وبدت لنا طرق الحياة مسدودة،
نرفع عيوننا نحو السماء ونسمع الخبر العظيم:
«قد ولدَ مخلّص»
حينذاك نهتف بصوت واحد:
«المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام للذين يحبّهم».

* * * *

الإيمان والرجاء هما نعمة المسيحية في عصرنا.
ويبينما يدبّ اليأس في نفوس الكثيرين،
إذ يرون أنّ البلد يسير في طريق مسدود،
يعلن المسيحي يقول:

«لا، نحن لسنا إلا في بداية الطريق!
نحن ننتظر النعمة الإلهية.
ولقد بدأنا في العمل منذ زمن،
وستخلص من جميع هذه الجرائم ونصير وطناً سعيداً.
ستأتي ساعة تزول فيها الاختطافات وتعود السعادة،
فنجتني أن نسير في الشوارع ونذهب إلى الريف،
دون أن نخشى التعذيب أو الخطف.
أجل! سيعود ذلك الزمان.

وكما تقول الأغنية:
«إنني واثق من أن كل شيء سيتغير يوماً ما». لا بد للتغيير أن يتم، إن آمنا حقاً بالكلمة التي تخلص، وإن منحناها ثقتنا.

* * * *

ستمرّ ساعة المحنّة، ويقى لنا إشراق المثل السامي،
الذي مات من أجله كثير من المسيحيين.
نحن نعيش الآن في ليل أسود.
لكن الإيمان المسيحي يقول لنا إنّ الفجر سيزغ بعد الليل.
وها هو الرجاء الذي لا يموت،
ييزغ في قلوبنا.
فيما ليت المسيح يسيراً معنا!

الفصل الثالث

صوت صارخ في السلفادور

دعوة إلى التوبة

لم يتكلّم الأسقف روميرو عن المسيح والكنيسة وحسب، ولم يكتفي بتقريع الضمائر والدعوة إلى التوبة، بل كان على مثال يوحنا المعمدان، يصرخ في وجه الخطأة أصحاب السلطة، ويندد بأعمال العنف التي تمارسها الحكومة على الشعب الفقير. وكان يؤنّب المضطهدين على أفعالهم، ويشجب الطغيان وأعمال القمع الوحشية، ويطالب باحترام الإنسان مهما بلغت بساطته واشتدّ عوزه.

أيها الإخوة:

حين نبشر بكلمة رب لا نندد بالظلم الاجتماعي وحسب، بل ننقد أيضاً الخطيئة التي هي ظلام وغموض.
يا ليت ملك الظلم والخطيئة يزول من مجتمعنا:
حفلات السكر والشرابه والفجور والزنى والإجهاض.

ما أقسى قلوبنا نحن البشر حين لا يحلّ الروح القدس فيها!
 ما أقسى قلوب الناس حين لا يستلهمون من روح الله،
 ولا يفكرون إلا برفاهيتهم الأرضية!
 إنّ نفسي تتألم كثيراً حين أسمع كيف يتعدّب الناس،
 وحين أعرف كيف يتعدّى بعضهم على حقوق الإنسان.

وكمما عهدنا في كلام الأسقف المسالم، يتوجّه بحديثه إلى مرتکبي الجرائم، حين تحتاج البلاد موجات العنف. ويناشد الجميع بالتخلي عن أحقادهم وجميع آثامهم، والعودة إلى الله، وفتح قلوبهم للروح القدس، ليطهرها ويقدّسها وينيرها.

علينا ألا نحتفظ بالتقالييد القديمة لأنّ الكنيسة تتجدد.
 وعلىينا ألا نحتفظ بالهيئات التي تسودها الخطية،
 - المجتمع والوضع والحكومة -
 تلك التي تلقي المسؤولية على الآخرين
 في ممارسة الظلم وإثارة الشغب.
 فالهيئات التي تسبّب آلاماً عظيمة لإخوتنا ليست مسيحية.

* * *

لا تخلطوا أيّها الإخوة بين رسالة الكنيسة،
 التي تبشر بالعدالة وتعمل لتحقيقها،
 وحملات التهديم.

فهذا الأمان مختلفان أشد الاختلاف،
إلاّ لو قيل إنّ الإنجيل هدام،
لأنّه يتّهم أصول نظام ما كان له أن يكون، لأنّه ظالم.

* * * *

كم أودّ أن يسمعني أصحاب الأيدي الجرمة الملطخة بالدم!
وهم للأسف كثيرون.
فالذي يعذّب هو قاتل.
والذي يشرع في التعذيب لا يعرف متى يتوقف عن عمله.
لقد رأينا ضحايا التعذيب محمولة بألف حيلة إلى المستشفى
لتموت فيه.

إنّ المسؤولين عن هذه الأعمال قتلة، بل مجرمون.
فلا يحقّ لأحد أن يتّهم إنساناً آخر زوراً ويعذّبه،
لأنّ الإنسان صورة الله.

والنهي واضح منذ أيام الخروج «لا تقتل» (خروج ٢٠/١٣).
وقد رفع المسيح هذه الوصيّة إلى الذروة حين أعلن
أنّه، عندما نبدأ بالبغض، نقتل:
«من غضب على أخيه يستوجب القضاء
ومن قال لأخيه: «يا جاهم» استوجب نار جهنّم»
(متّى ٥/٢١ - ٢٢)

* * * *

ما أقسانا حين لا يحلّ فينا الروح القدس!
 وما أقسى قلوب الناس حين لا يستوحون من روح الله،
 ولا يفكرون إلا برفاهيتهم على الأرض.
 تتألم نفسي كثيراً حين أعلم كيف يتعدّب الناس،
 وحين أعرف كيف يتعدّى بعضهم على حقوق الإنسان،
 الذي هو صورة الله.
 إنّ تصرّفاً كهذا لا يجوز.
 فالإنسان بدون الله حيوان متواحش.
 الإنسان بدون الله صحراء، ولا يزهر قلبه محبّة.
 بل يعكف على مطاردة إخوانه بطريقة شيطانية.
 لهذا السبب هناك قلوب أشخاص
 قادرين على أن يخونوا إخوانهم ويبلغوا عنهم،
 ولا يهمّهم أن تقود السلطات أولئك لتعذيبهم وقتلهم.
 ما أغرب قلب الإنسان وما أقساه
 حين لا يكون الله فيه منبع محبّة حقيقية!
 فعندما يفقد الناس حاسة المعموديّة والتشبيت،
 يشبهون بريّة قاحلة وجذوعاً يابسة.

التنديد بالظلم

في أحد الأيام، قُتلَ جنديان حين كان الجيش يقمع أعمال

الشغب والإضرابات، التي قام بها السلفادوريون احتجاجاً على إرهاب الحكومة للشعب، وإعطائها الصلاحيات المطلقة لفئة من الناس، ليقوموا بالاعتقالات والخطف والتعذيب في السجون والقتل، دون أن يكون هناك قانون يردعهم أو سلطة تحاسبهم. فحضر الأسقف الجنائز، واستغلّ تلك المناسبة ليبيّن للناس أين يكمن الشرّ الذي يؤدّي إلى وقوع حوادث مؤلمة كهذه.

علينا أن نرثي في هذا الأسبوع وفاة عسكريين.
إنّهما إخوة لنا.

لم أتّخذ قط موقف التحيّز إزاء أعمال العنف،
بل وضعت نفسي، مستلهماً من شفقة المسيح،
في صفّ المقتول والضحية والذين يتعدّبون،
وطلبت الصلاة لأجلهم.

فلنتحد معاً، ولنشارك العائلات في آلامها.
تقول وصيّة ربّ: «لا تقتل» (خروج ٢٠/١٣)
لأنّ الحياة مقدّسة.

الدم المهرّاق صرخة نحو الله، وإن كان دم خاطئ.

* * *

إنّ العسكريين المقتولين هما ضحيّتان جديدتان
لظلم نظامنا الذي ندّدت به الأحد الماضي.
ومن أبغض جرائم هذا النظام

هو أَنَّه يقوم على مجابهة الفقراء بعضهم بعضاً.
لأنَّ العساكر، مثل العُمَال والفلَّاحين،
ينتمون إلى الطبقة الفقيرة.

هذا هو انحراف نظام يجرؤ على جعل الفقراء يتحاربون.
فالعسكريَّان المقتولان ضحىَّتا أشخاص آخرين
قد يكونوا هم أيضاً فقراء.

لكتَّهما أساساً ضحىَّتا الإله مولوخ
الذي يتغطَّش إلى السلطة والمال،
ولا يبالي بحياة الفلاح أو العسكري،
لأنَّه يحتفظ بامتيازاته،
يتمكَّن من الحفاظة على نظام تسوده الخطيئة.

وفي مناسبات أخرى، يرتفع صوت الأسقف عالياً، ويتوسل إلى
الحكَّام لكي يخفِّفوا من آلام الشعب ويكتفوا عن إذلاله. ولما كان كثير
من رجال الحكومة قد اعترضوا على تدخله في شؤونهم، وأعلنوا أنَّ
دور الكنيسة يقتصر على الكلام في الكتاب المقدَّس والروحانيَّات، ردَّ
أوسكار روميرو عليهم، وبيَّن أَنَّه من واجب الكنيسة أن تطالب
بالعدالة وتدافع عن المقهور، لأنَّ التطوبيات، جوهر التعليم المسيحيّ، لا
تمجَّد الشقاء الإنسانيّ، بل تدعو المسيحيّ ليحوّله إلى طوبى وفرح
وتعزيته.

أخاطب الأقلية الحاكمة، وأكرر عليها ما قلته:

لا تحسبني قاضيكم وعدوكم.
 فأنا لست إلا راعياً وأخاً وصديقاً للشعب،
 أعرف آلامه وحالات جوعه وقلقه.
 وباسم جميع هذه الأصوات أرفع صوتي لأقول:
 لا تعبدوا ثرواتكم،
 ولا تخزنوها وتتركوا الآخرين يموتون جوعاً.
 عليكم أن تشركوا فيها لتكونوا سعداء.

* * * *

أيتها الإخوة:
 حتى وإن وصفونا بالجنون،
 وعاملونا وكأننا مدمرن وشيوعيون،
 ونعتونا بعيوب أخرى،
 نحن نعلم أننا لا نقوم إلا بتبشير رسالة التطوييات الهدامة،
 التي قلبت كل شيء يإعلانها:
 طوبى للقراء، طوبى للمتعطشين إلى العدالة،
 وطوبى للمتعذبين.

* * * *

لا يجوز أن نبحث عن يسوع في تماثيل مغارتنا الجميلة،
 بل علينا أن نبحث عنه في الأطفال الذين يتضورون جوعاً،
 وأولاد الشوارع الذين يبيعون الصحف،

وينامون ليلاً تحت البوابات.
 فوجود الفقر كنقص في ضروريات الحياة
 هو في ذاته قرار اتهام.
 والذين يقولون إننا
 - أي الأسقف والكنيسة والكهنة -
 سببنا ضيق البلد،
 يسعون في قولهم هذا إلى إخفاء الحقيقة.
 لأن كبار المحرّضين على الشغب الحالي
 هم الذين بدأوا في الظلم الفادح الذي راح بلدنا ضحيته.
 لقد رسم الفقراء للكنيسة معالم طريقها الحقيقي.
 والكنيسة التي لا تتحد معهم،
 ولا تنقد المظالم المرتكبة ضدهم،
 ليست كنيسة يسوع المسيح الحقيقية.

آلهة العالم المعاصر

وعى الأسقف روميرو أن حكام بلده يعبدون الأصنام الكثيرة،
 ويجنّدون لها كافة قواهم العقلية والجسدية. لذلك نراه يشير بالبيان
 إلى تلك الأصنام: الأنما، والسلطة، والشهوات، والكبرياء، وبين
 للحكّام بصرىح العبارة أن هذه العبادة، وقبل أن تكون خيانة لروح
 المسيحية، هي مرعى لجميع الشرور.

لقد حاولت أن أسمع الناس صوت الكنيسة بوضوح،
ولا أعلم هل نجحت في محاولي.
لأنه كثيراً ما نجد حولنا

الإرادة السيئة والجهل والتمسك بعبادة الأصنام.
أيها الإخوة:

لا بد لنا من أن نُبعد جميع الأصنام وأوّلهم صنم «الآنا»
لكي نصير متواضعين، ونتمكن من معاونة بعضنا ببعضًا.
فعالم اليوم لا يحتاج إلا إلى هذا التعاون.

* * * *

الحرّية في الصراخ بوجه الآخرين لا تولد تحريراً حقيقياً.
والتحرير الذي يسعى وراء ثورات الحقد والعنف،
ويقتل الآخرين بعد أن يهين كرامتهم،
لا تتماّض عنده حرّية حقيقية.
لأنّ الحرّية الحقيقية تُمارِس العنف على نفسها،
وتصير عبدة في خدمة الآخرين،
 تماماً كما فعل المسيح.

* * * *

أيها الإخوة:

يقول لنا الكتاب المقدس إنّ الله يحكمنا
وإننا تحت سعادته الإلهية.

وَلَا سُلْطَةٌ إِلَّا مِنَ اللهِ.
 فَالْمَلْكُ أَوْ الْحَاكِمُ الَّذِي يَمْارِسُ السُّلْطَةَ
 لَا يَمْكُنُهُ أَنْ يُعْطِي أَوْ أَمْرٍ تَخَالُفُ إِرَادَةَ اللهِ.
 وَإِذَا كَانَتْ هُنَاكَ سُلْطَةٌ مَا تَسْتَحْقُّ احْتِرَامَنَا،
 فَلَا إِنْسَانٌ تَعْكِسُ سُلْطَةَ اللهِ الْمَقْدِسَةَ.
 وَعِنْدَمَا تَصْبِحُ سُلْطَةُ الْبَشَرِ تَعْسِفِيَّةً،
 وَتَخَالُفُ قَوَانِينَ اللهِ وَحَقْوقِ الْبَشَرِ فِي الْحَرَيْثَةِ وَالْكَرَامَةِ،
 فَإِنَّهَا تَدْفَعُنَا إِلَى الصِّرَاطِ مِثْلَ بَطْرَسَ الرَّسُولِ:
 «اللهُ أَحَقُّ بِالطَّاعَةِ مِنَ النَّاسِ» (أَعْمَال١٥/٢٩).

* * *

كُلُّ سُلْطَةٍ تَأْتِي مِنَ اللهِ.
 لَهُذَا لَا يَمْكُنُ لَأَيِّ حُكْمٍ أَنْ يَمْارِسَ سُلْطَتَهُ عَلَى هُوَاهُ،
 بَلْ وَفقًا لِإِرَادَةِ الرَّبِّ.
 لَأَنَّ الإِرَادَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَحْكُمُ الشَّعُوبَ،
 وَمَا الْحَكَامُ إِلَّا وَزَرَاؤُهَا.
 إِنَّهُمْ خَدَّامُ اللهِ، مِثْلُ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ.
 وَعِنْدَمَا يَحُولُ شَخْصٌ سُلْطَتَهُ إِلَى سُلْطَةٍ مُّطْلَقَةٍ،
 وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ صَنْمًا،
 وَيَخَالُفُ قَوَانِينَ اللهِ وَيَنْقُلِبُ عَلَى حَقْوقِ الْإِنْسَانِ،
 وَلَا يَوْجِهُ الشَّعْبَ بِحَسْبِ إِرَادَةِ الرَّبِّ،

يمكّنا أن نقول إن سلطته لا تأتي من الله.
وللشعب الحق في عدم طاعته،
محبّةً للخير العام الذي هو مبرّر وجود الدولة،
حتى تتحقق مطالبه العادلة.

* * * *

إن الواقع الذي لا يستند في كلامه إلى الوضع الذي يعيش فيه
لا يعظ الإنجيل.

كثيرون يريدون بشاررة روحانية
ترك الخطأ في خطيتهم ولا تسمّي عبادة الأصنام
الذين يركعون أمام المال والسلطة.

إن بشاررة لا تنقد حقائق الخطيئة
التي هي مادة التفكير الإنجيلي،
ليست بشاررة الإنجيل.

لأنّ نقد عبادة الأصنام كان دائماً رسالة الأنبياء والكنيسة.
فالإله بعل قد انذر اليوم.

لكنّ هناك أصناماً أخرى فظيعة، هي أصنام زماننا:
المال والسلطة والترف والفسق...
كم من آلهة كاذبة قائمة عندنا!

* * * *

إن صوت هوشع النبي لا زال يصرخ.

وهو يقول للمسيحيين:
 لا تخلطوا بين عبادة الإله الحقيقي وجميع هذه الآلهة المزيفة.
 لا تجوز خدمة معلّمين في آن واحد: الله والمال.
 ولا بدّ من الاختيار بين الله والمال.

بين الوثنية والإلحاد

وفي مقال نُشرَ في صحيفة الكنيسة، يربط الأسقف روميرو بين عبادة الأصنام والإلحاد الذي يتميّز به عصرنا الحالي. وهو يستعمل في تحليله وثائق المجتمع الثاتيكاني الثاني، ويشرحها في ضوء معطيات ظروف السلفادور. ويبيّن بوضوح كيف يمكن للنظام الرأسماليّ، وهو النظام الاقتصاديّ لبلاده، أن يشبه في سلوكه ما تعود الناس أن يروه في الشيوعيّة ودعوتها إلى الإلحاد.

يقول المجتمع الثاتيكاني الثاني: «تعني الكلمة إلحاد ظواهر شديدة الاختلاف في ما بينها»... ولما كانت الماركسيّة تقتل حاسة السموّ التي تحملها الكنيسة، فإنّ نعّت الكنيسة بالماركسيّة لا يعني انتحارها وحسب، بل يرادف أيضاً وأوّلاً غباءها.

لكنّ هناك إلحاداً أقرب إلينا وأكثر خطراً على كنيستنا، وهو إلحاد الرأسماليّة، الذي بموجبه تصبح الخيرات الماديّة أصناماً وتحلّ مكان الله. ويقول المجتمع في هذا الصدد: «ينشأ الإلحاد غالباً حين ينسب بعضهم خطأً إلى الخيرات الماديّة البشرية طابعاً

مطلقاً حتى إن هذه الخيرات تصبح إلهم. وقد يجعل التمدن الحديث الاقتراب من الله أكثر صعوبة، لا بمحض جوهره، بل لأننا نجده مرتبطاً بالحقائق الأرضية».

وفي بلادنا، تعبد الرأسمالية المال والخيرات البشرية. وهذا إلحاد يعادل في خطورته الإلحاد الديني، بل يفوق الإلحاد الديني الذي نسب إليه جميع الشرور. فأيّهما أكثر خطورة: إنكار الله بسبب فكرة خاطئة عن تحرير الإنسان أو إنكار الله بسبب أناية ارتفعت حتى مستوى عبادة الأصنام؟ وأيّهما أكثر خطباً: الذي يؤمن بهذا العالم حتى إنه يرفض علينا سمو الله، أم الذي يستخدم السمو والطابع الديني ليبرر عبادته لماديات الأرض؟

ها هما الإلحادان. ولا أحد منهمما يمثل «الحقيقة التي تعلّمتها كنيسة الإنجيل». لأنّ أسمى مظهر للكرامة الإنسانية هو دعوة الإنسان للاتحاد بالله».

الفصل الرابع

في النصائح الرعوية

كان هدف الأسقف وغايته من مسيرته النضالية تحقيق ملوكوت السماء على الأرض. لأجل هذا كان يعظ وينصح ويندد، وفي سبيله جابه أشدّ المخاطر، وتعرّض لأقسى المحن. ولكي يكون كلامه بناءً، كان يقدم بين الحين والآخر نصائح إلى أبناء رعيته، والعائلات، ورجال السياسة، ويحاول أن ينير لهم بكلماته الطريق الذي يتوافق مع روح الإنجيل.

في سبيل ملوكوت الله

لا يتحقق ملوكوت الله بدون ترقية الإنسان. والمقصود بكلمة ترقية: رفع مستوى الشعب اقتصادياً وحضارياً وروحيًا واجتماعياً. وهذا لا يتم إلا بمحبة الآخرين ومشاركةهم في الخيرات، واهتمام الإنسان بأخيه الإنسان. وهي مسؤولية يتحمّل أعباءها الفرد في

المجتمع، والعائلة في البيت.

لم يكن المسيح فادياً لو لم يهتم أيضاً
بأطعام الجماهير الجائعة وفتح عيني الأعمى،
ولو لم يضطرب من وجود بشر منبوذين
لا أحد يحب أن يساعدهم.

لذلك تهتم الكنيسة أيضاً بترقية الناس،
في بعدهم السياسي والاجتماعي.

فترقية الإنسان التي حقّقها المسيح تشمل كلّ الإنسان،
في بعده المتسامي والتاريخي والروحي والجسدي.

ومقصود من الترقية

هو أن يرتقي الإنسان في علاقاته الاجتماعية،
وبتفكيره في أنه ما من إنسان أسمى من آخر،
بل الجميع إخوة، بما فيهم الضعفاء والمعوزين.
هكذا تريد الكنيسة أن تخلّص الإنسان.

وهي رسالة صعبة!

* * * *

لا بد للمسيحي أن يعمل ليزيل الخطيئة،
ويؤسس ملکوت الله.

والكافح في سبيل هذا ليس عملاً شيوعيّاً،
الكافح في سبيل هذا ليس عملاً سياسياً،

بل هو الإنجيل، الذي يطلب من مسيحيّ اليوم
أن يشارك في مسيرة التاريخ.
فيما أرباب الأسر في السلفادور،
لا تبتعدوا عن احتياجات المجتمع الملحة،
وخذار من أن تنغلق أسركم على نفسها، وتنعزل عن المجتمع.
لا يتزوج الشاب والفتاة ليسعاً وحدهما.

فالزواج وظيفة اجتماعية مهمة،
وعلى الزوجين أن يكونا مشعلاً
ينير للآخرين درب التحرير.

على الرجل والمرأة أن يغادرا المنزل
ليحققا العدالة في المجتمع بواسطة السياسة.
لأنَّ التغييرات لا تتم إلا بسواعد البشر.

ويتقد الأسفاف الأنانية ويصفها بأنّها منبع الشرور. ويدعو
الناس إلى مشاركة بعضهم بعضاً في الخيرات، ويحثّهم على أن
يقاوموا أفكار التمييز الطبقي، لأنّه على الغني والفقير أن يتعاونا لبناء
مستقبل أفضل.

إنَّ إحدى علامات الأزمنة في أيامنا هي المشاركة،
أي حق كلّ إنسان في أن يشارك بالخير العام.
لذلك يُعتبر القمع من أعظم الأخطار المهدّدة لحقوق الإنسان.
وهو قمع شعاره:

«لا يمكن لأحد أن يحكم البلاد سوانا،
ولا بدّ من إبعاد الآخرين».

فخير الوطن لا يقوم على طرد الآخرين،
بل على تجميع ما هو حَسَن في كلّ إنسان،
واستخلاص الخير العامّ منه في جوّ من المحبّة والحرّية والسلام.
هكذا نبني الوطن بحسب إرادة الله.

ودعوة وطينا هي أن يكون مكان تجسّد حقيقي للخلاص.
ودعوة سُكَان السُّلْقَادُور هي أن يبنوا ملَكُوت الله،
لا كأشخاص معَمَدين وحسب، بل كمسِيحَيْين حقيقيَيْن،
فلنعقد العزم على أن نجعل من أَسْرِنا
وأَمْلَاكُنا وأراضِنَا الزراعيَّة،
وطرقنا وقوانيننا،

بُنيات يشعر فيها أهل السُّلْقَادُور
بأنَّ حقيقة المسيحية تحقّقت،
فصاروا أحراراً في عبادة الله وتعليم ديانتهم
والاجتماع للتأمّل في كلمة الله،
دون أن يراقبهم أحد أو أن يتعرّضوا لاستجوابات
وتحقيقات سيئة النية.

الرفاهية الحقيقية

ما يميز ملوكوت الله الذي يحلم الأسقف روميرو بتحقيقه في بلاده هو الرفاهية والسلام. أما الرفاهية، فلا تعني بالنسبة إليه التمتع الفردي بخيرات الأرض، ومنتجات العلم والتكنولوجيا، ولا تقتصر على المفهوم الاقتصادي البحث، بل تشمل حياة الإنسان بجميع أبعادها، وحياة أبناء البلد كلّهم. وهذا لا يتحقق إلا إذا توفّرت العدالة الاجتماعية والمحبة. وتظهر هذه الأفكار واضحة جليّة في مقال نُشرَ للأسقف بصحيفة الأبرشية سنة ١٩٧٨، جاء فيه:

قد يكون الشعار الذي نراه في كلّ مكان: «الرفاهية للجميع»، عبارة رائعة تصف الخير العام. هذا إذا كانت الكلمتين «الرفاهية» و «الجميع» تعبران بصدق عن الحقيقة. لأنّ المجمع الثاتيكاني الثاني وصف الرفاهية بمعنى الخير العام على النحو التالي: «يشمل الخير العام جميع الحالات الاجتماعية التي تسمح للجماعات وللأفراد على حد سواء بأن يصلوا إلى كمالهم بطريقه أكثر تماماً وسهولة» (الكنيسة في العالم المعاصر، رقم ٢٦؛ ٣).

فلا يجوز إذاً لحقيقة الرفاهية الاجتماعية الأصلية أن تقتصر على المظاهر الاقتصادي وحده، بل لا بدّ من أن يكون لها بُعد أخلاقيّ، لكي تتحقّق بالفعل الخير العام الحقيقيّ، الذي يعطي

للجماعة السياسية معنى لوجودها ولسلطتها. ولا يظهر بعد الأخلاقي إلا إذا صبّت الجهد في تحقيق أهداف تختلف عن مسألة الخيرات المادية. ويضيف المجتمع الثاتيكانى الثاني:

«وهكذا، على نموّ النظام الاجتماعي أن يهدف دائمًا إلى خير الأشخاص. لأنّه لا بدّ لنظام الأشياء أن يخضع لنظام الأشخاص، لا العكس. أجل، على نظام الأشخاص أن ينمو باستمرار، وأن يتأسّس على الحقيقة، ويبني على العدالة، وأن تُحييه المحبّة. وعليه أن يجد أيضًا في الحرّية اتزاناً إنسانياً أكثر فأكثر».

علينا إذاً أن نفهم هذا الشعار وكيف يحقق الخير العام. لأنّه من حقّنا، سكّان السان سلفادور، أن ننتظر من حّكامنا أن يحقّقوا الرفاهيّة للجميع باستعمال الديموقراطية، مفضّلين إيّاها على الامتيازات الماديّة في السلطة والمال. وعليهم أن يوفّروا للجميع وسائل تحضّر حقيقيّ، «لأنّ قيمة الإنسان ليست في ما يملك بل في ما يكون» ((تقدّم الشعوب وارتقاءها) البابا بولس السادس).

لم أدعّقطّ أنّ أيّ تحسين زراعيّ أو اقتصاديّ يكفي لمشاركة الجميع في خيرات البلاد. لا شكّ أنّ ذلك ضروريّ وعاجل، ولكنه بكلّ تأكيد غير كافٍ. فلكي تكون الرفاهيّة سهلة المنال،

يجب تطبيق مبدأ الوظيفة الاجتماعية الدستوريّ، الذي يحكم الملكيّة الخاصّة، ويحقق عدالة توزيع سليمة وحكيمة. وأنا أضيف على ذلك وأقول إن العدالة التوزيعيّة لا تكون كافية إذا اقتصرت على الرفاهيّة الماديّة. ففي الحياة ما هو أكثر من الخبز وأهمّ من الشؤون الماليّة: خصال الشرف والفضيلة الفطريّة التي تفوق ملكيّة الخيرات الماديّة أهميّة. لأنّ هذه الملكيّة ضارّة في طرفيها. أعني حين تفيض، وحين تنقص حتى مستوى البوس.

لن تصبح الرفاهيّة الأصيلة للجميع خيراً عاماً حقيقةً إلّا في إطار الحكم السليم، الذي يتمكّن فيه أفراد المجتمع بدون تمييز، وبدون خوف من القمع، أن يقدموا مساهمتهم، مهما كانت بسيطة، لكي يصبح كل ساكن في السلفادور ذلك الإنسان المثقّف، المسالم والشفوق على الآخرين.

نصائح لرجال السياسة

تميّزت عظات الأسقف رومIRO في آخر سنة من حياته بالنصائح والإرشاد. وبعد مسيرة طويلة من الجهاد لتحرير أبنائه من شرّ الظلم، وبعد أن قال عليناً ما كان يُقال وشوشة، التفت الراعي إلى الطرف الآخر من السهل، وصار ينادي الخراف الضالّة. ولما كانت مسألة التوافق بين الدين والسياسة من صلب تساؤلات أهل السلفادور، وضحّ الأسقف موقف الكنيسة من السياسة وحدّد دورها فيها. فالكنيسة نورٌ

يضيء الـدرـب السـليم لـجـمـيع السـاسـةـ. ولـكـي يـقـرن القـول بالـفـعلـ، شـرـعـ
يـدـلـي بـنـصـائـحـه لـرـجـالـ السـيـاسـةـ، ويـحـثـهـمـ عـلـىـ عـدـمـ إـهـمـالـ الحـيـاـةـ
الـرـوـحـيـةـ، لـأـنـهـمـ يـسـتـطـيـعـونـ مـنـ خـلـالـ هـذـهـ الحـيـاـةـ أـنـ يـحـكـمـواـ يـاـنـصـافـ،
وـيـتـخـذـواـ الـقـرـارـاتـ الـعـادـلـةـ.

ما من شيء يعيق إنساناً عن أن يكون سفيراً بابوياً
أو مرشداً في الجيش
إذا التزم بالإنجيل،
ومارس وظيفته بروح كنسية لا تهتم بنعم الأرض
أو بسلوك دبلوماسي أو بامتيازات عسكرية.
لأنه لو وجدَ مثل هؤلاء الأشخاص
في العالم الدبلوماسي والعسكري،
لانشر صوت الإنجيل وصوت الكنيسة بواسطتهم.
فأبطال التاريخ الحقيقيين
هم الذين يحيون في اتحاد وثيق بالله.

* * * *

آه لو وجدَ رجال صلاة
بين الذين يشرفون على الاقتصاد ومصير الوطن.
لأنه لو اعتمد هؤلاء على الله وطريقه،
بدلاً من أن يرتكزوا على طرق فنية بشرية،
لتحقق العالم الذي تحلم به الكنيسة:

عالم بدون ظلم،
 عالم احترام حقوق الإنسان،
 عالم يشارك فيه الجميع بسخاء،
 عالم بدون قمع،
 عالم بدون تعذيب.

* * * *

يا أهل السان سلقادور!
 لو ابتعدنا عن كلمة الله التي تلهمنا،
 لصرنا رجال الحالة الحاضرة،
 أي سياسيين انتهازيين.
 لكنّنا لن تكون مسيحيين من بناء التاريخ.
 فيا أيّها الإخوة،
 يا من لديهم حسّ اجتماعيٍّ يُعدّهم عن الظلم في وطننا،
 إنّ الحسّ هبة من الله.
 فإذا كانت لديكم دعوة سياسية، عليكم أن تنموها،
 وألاّ تضيّعواها باللجوء إلى الحقد والانتقام،
 وإلى العنف المنتشر على الأرض.
 قوموا، وارفعوا قلوبكم إلى العلي،
 واسعوا لتحقيق الأمور السامية.
 لأنّ مسألة أمن الدولة لا تبرّر وجود مجتمع أو جماعة سياسية.

بل الإنسان.
فقد قال يسوع:
«السبت جعل للإنسان،
وما جعل الإنسان للسبت» (مرقس ٢/٢٧)
فالإنسان هدف جميع القوانين وجميع المؤسسات.
والدولة جعلت للإنسان، لا الإنسان للدولة.

ولعلّ أجرأ ما خاطب به الأسقف سياسي العالم هو خطابه المفتوح لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية. فقد كان نظام الحكم في السلفادور يمينياً، وينال مساعدات أمريكية كثيرة، بحجّة أنه يدافع عن نفسه من خطر الأنظمة اليسارية في البلاد المجاورة. ولكنه كان يقتل الأبرياء من أبناء الوطن بالسلاح نفسه. وقد أثار هذا الخطاب استياء الحكومة فقررت التخلص نهائياً من ذلك الأسقف المزعج.

يا سيادة الرئيس

أخبرتنا الصحفة مؤخراً بما أثار في القلق والاهتمام. فقد درست حكومتكم مسألة إمكانية مساعدة السلطة الحاكمة في بلدنا اقتصادياً وعسكرياً. وإذا إنكم مسيحيون، وتُظهرون رغبة في الدفاع عن حقوق الإنسان، سمحت لنفسي بأن أبين لكم وجهة نظري الرعوية، وأن أوجه اليكم طلباً واقعياً.

أنا في غاية القلق لأنّ حكومة الولايات المتحدة تسعى إلى

تسليح السلفادور، وترسل مجموعات عسكرية وخبراء لتدريب «ثلاث فرق حربية سلفادورية على الاتصالات والاستخبارات». وإن صحت هذه الأنباء التي وردت في الصحف، فإن حكومتكم لن تساهم في زيادة العدالة والسلام في السلفادور، بل ستزيد بدون أي شك ظلم الحكومة وقهرها للمنظمات الشعبية التي طالما ناضلت من أجل احترام حقوق الإنسان الأساسية.

فالسلطة الحاكمة الحالية، وخصوصاً القوات المسلحة وقوّات الأمن لم تُظهر أنّها قادرة على حلّ المشاكل الوطنية الكبرى من خلال السياسة التي تنتهجها. وهي بوجه عام لا تدرك إلا استعمال العنف والقهر، الذي أسقط عدداً من القتلى والجرحى يفوق بكثير عدد ضحايا الأنظمة العسكرية السابقة، التي وصفتها اللجنة الدولية لحقوق الإنسان بأنّها تنتهك هذه الحقوق باستمرار. فالطريقة الوحشية التي اغتالت بها قوّات الأمن أعضاء الحزب الديمقراطي المسيحي المنتخبين - مع أنّ الحكام والحزب، على ما ييدو، لم يأذنوا بالقيام بهذه العملية - تُظهر بوضوح أنّ الحكام والحزب لا يسيطرون على البلد، وأنّ القوة السياسية هي في أيدي عسكريين بدون ضمير، لا يجيدون إلا قهر الشعب وصيانة مصالح الأولغارشية.

وإذا كان صحيحاً أنه في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، جاءت مجموعة من ستة أمريكيين إلى السلفادور لتسليم، بما قيمته مئتي ألف دولار، أقنعة واقية وصداري ضد الرصاص، ولتدريب الجيش على استخدامها لقمع المظاهرات، فاعلموا أنه منذ اللحظة التي حازت فيها قوات الأمن على ما يؤمّن لها حماية كبيرة، قهرت الشعب بعنف أكبر، مستخدمة أشدّ الأسلحة فتكاً.

لهذا، وبصفتي سلفادوريّاً، ورئيساً لأساقفة السان سلفادور، وبحكم واجبي في السهر على انتشار الإيمان والعدالة، أطلب منكم، إذا كنتم تريدون الدفاع عن حقوق الإنسان:

- أن تمنعوا الحكومة السلفادورية من نيل المساعدة.

- أن تضمنوا لنا أن حكومتكم لن تتدخل مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، من خلال الضغوط العسكرية أو الاقتصادية، أو الدبلوماسية... لتحديد مصير الشعب السلفادوري.

نحن نعيش في بلدنا أزمة اقتصادية وسياسية كبيرة. لكن الشعب، الذي بدأ يعي مشاكله وينظم صفوفه، صار قادراً على تحمل مسؤولية إدارة مستقبل بلده السلفادور، وهو وحده قادر على تخطي الصعوبات. فمن العار إذاً أن يكون التدخل الأجنبي سبباً لقهر هذا الشعب ومنعه عن تقرير مسيرته

الاقتصادية والسياسية في وطنه. لأنّ هذا يعني انتهاك حقّ أقرّه أساقفة أمريكا اللاتينية عليناً في اجتماعهم ببويلا: «حقّ شعوبنا الشرعيّ في تقرير مصيرها، الذي يسمح لها بأن تنتظم وفقاً لأفكارها ومسيرة تاريخها، وبأن تشارك في وضع نظام عالميّ جديد» (بويلا ٥٠٥).

أمل أن تدفعكم مشاعركم الدينية، ورغبتكم في الدفاع عن حقوق الإنسان، إلى قبول طلبي، فيتم بذلك تجنب سفك دماء كثيرة في بلدنا.

العظة الأخيرة

في يوم الإثنين، ٢٤ مارس (آذار) ١٩٨٠، ذهب الأسقف أوسكار رومIRO إلى أحد المستشفيات ليقيم القداس للراهبات اللواتي يعملن فيه، ولبعض الحضور من المرضى أو ذويهم. وبعد قراءة الإنجيل قال:

«إنّ الملوك حاضر منذ الآن في هذه الأرض بوجه سريّ. وسيبلغ كماله عند عودة ابن. هذا هو الرجاء الذي يشجّعنا ويعضدنا، نحن المسيحيّين. وإنّا نعلم أنّ الله يبارك كلّ مجهد يبذل لتحسين المجتمع، خصوصاً حيث يسود الظلم وتنشر الخطيئة. والربّ يريد هذا المجهود ويطالبنا به».

وبصمت، أمسك الأسقف المنديل الأبيض، ومدّه على الهيكل،
ثم رفع الخبز ولفظ كلمات التقدمة، ورفع الكأس ولفظ الروح، لأنّ
مجهولاً أطلق عليه النار فأصابه في قلبه.

فهرس المحتويات

٥	مقدمة
٧	العنف المسلح
٢٥	تعاليم الأسف
٢٧	الفصل الأول: في الكنيسة
٦١	الفصل الثاني: في الفضائل المسيحية
٨٣	الفصل الثالث: صوت صارخ في السلفادور
٩٦	الفصل الرابع: في النصائح الرعوية

مَنشَرَاتْ :
دَارُ الْمَشْرُقْ شِمْم
ص.ب: ٩٤٦ - بَيْرُوت ، لِبَنَان



الْتَوْزِيعْ :
المَكْتبَةُ الشَّرْقِيَّةُ - سَاحَةُ النَّجَمَةِ
ص.ب: ١٩٨٦ - بَيْرُوت ، لِبَنَان

